الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة – بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنـــــــوان المـــــــذكّرة

الأبعاد الصوفية والفلسفية في التجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر ديوانه – أنموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

تخصّص: أدب عربي

إعداد الطالبتن:

- يمينة سماح
- نشيدة مزوار

إشراف الأستاذ:

- عمر قلايلية

السنة الجامعية: 2021 - 2022

شكر وعرفان

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك

نتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ "عمر قلايلية" الذي رافقنا طوال فترة إنجازنا لهذا البحث، والذي كان سندا لنا، ولم يبخل علينا بأي معلومة، بحيث كان حريصا دائما على تقديم الأفضل وذلك بتوجيهاته ونصائحه.

كما نشكر كلّ أساتذة قسم اللغة والأدب العربي، وعلى رأسهم الأستاذ على كلّ ما قدّموه من مجهودات في سبيل خدمة القسم، وكلّ من قدّم لنا يد المساعدة جازاكم الله خير.

الإهداء

الحمد لله الذي أنار لي طريقي وكان لي خير عون

إلى أمي الغالية

إلى "لبنى، نور اليقين" التي ساندتني طوال فترة إنجازي للبحث

إلى الأستاذ المشرف "عمر قلايلية" جزاك الله خيرا

-يمينة-

الإهداء

إلى التي علّمتني أن الحياة حبٌ، والحب عطاء، إلى الحضن الدافئ بالخير والأمان

إليك أمي الحنونة حفظك الله وأدامك تاجا فوق رأسي.

إلى إخوتي: "سعدي، عبد الوهاب، لامين، موسى، جمال، لمنور، ناصير"

وإلى أختي "نعيمة" وزوجها وأولادها.

إلى عمي "لعياشي"

وإلى صديقاتي: ليدية صديقة الطفولة، حسيبة، أمال، يمينة.

-نشيدة-

مقدمة

مقدمة:

الأمير عبد القادر الجزائري من أهم الشخصيات الجزائرية التي تفتخر الأمة العربية وخاصة أمته الجزائرية، حيث يعتبر رائدا من رواد النهضة الأدبية في المغرب العربي وصاحب الطريقة الصوفية، وقد ورث هذه الطريقة القادرية من أبيه الذي ينحدر من سلالة الزوايا والمساجد، وشيخ من شيوخ المتصوفة، والمتأثر بدراستهم.

فغرضنا من تقديم الأمير عبد القادر هو شخصيته العظيمة في التاريخ، هذا الفارس القائد والمجاهد، ورجل دولة، وشاعر وفقيه ملتزم بالدين والسّنة بل العارف المتصوّف، والشغوف بالعلم والمطالعة والمطّلع على للكتب الدينية والعلمية والفلسفية، ووارث التجربة العرفانية من أستاذه ابن العربي.

والهدف من تقديمنا للأمير عبد القادر هو التعرّف على صاحب أروع ما كتب من الشعر الصوفي في العصر الحديث، في مجال الذوق والعرفان، صاحب النضال والكفاح بالسّيف والقلم، ومن أجل تقديم هذه الشخصية المتفرّدة وتجليات تفكيرها الصوفي والفلسفي، اخترنا هذا **الموضوع** الموسوم بـــ: **الأبعاد الصوفية والفلسفية في التجربة الشعرية عند الأمير عبد القادر ديوانه –أنموذجا.**

وتظهر **إشكالية** البحث من خلال عدّة السؤال الآتي:

ما مدى تجلي الأبعاد الصوفية والفلسفية في شعر الأمير عبد القادر؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على **خطة** تجمل كلّ هذه التساؤلات التي تندرج ضمنها، حيث قسّمنا بحثنا إلى ثلاث فصول ومدخل، الأخير يظهر حياة الأمير عبد القادر مجاهدا، متصوفا، شاعرا والمواقف الإنسانية لديه.

لننتقل إلى الفصل الأول الذي سيأتي تحت عنوان التصوف والشعر، تناولنا فيه التصوّف في الأدب عند العرب والعرب القدامى والمحدثين.

بعدها الفصل الثاني المعنون بالبعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، اعتنينا فيه باللغة الصوفية عند الأمير عبد القدر، وتوظيفه الرمز الصوفي، وتطرّقنا لأهم المواضيع التي عالجها الأمير في شعره.

أما الفصل الثالث الذي يمثّل فصلا تطبيقيا تحت عنوان البعد الصوفي والفلسفي في شعر الأمير عبد القادر يهدف إلى تبيان البعد الصوفي ونزعته من خلال حقيقة الوجود وفكرة الموت (الفناء)، والحيرة الصوفية (الذات الإلهية).

ولبناء الخطة التي سبق وذكرناها، اعتمدنا في هذا البحث على آليات وأدوات **المنهج** التاريخي، والمنهج (الموضوعاتي) الذي يعمل على وصف وتحليل تيمات التصوف في شعر الأمير عبد القادر، كما اعتمدنا على مجموعة من **المصادر والمراجع ودراسات سابقة**، نذكر أهمّها:

- نزار أباضة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد.
- بن طارت جلول: اللغة الصوفية وتجلياتها في فكر المقاومة عند الأمير عبد القادر.
- عبد الوهاب عبوسي: ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر.

وكما كلّ الباحثين، واجهتنا مجموعة من **الصعوبات** نحصر أهمها فيما يلي: ضيق في الوقت وعدم وجود مصادر كافية للبحث. وكذا تشابك وتداخل موضوع التصوّف والفلسفة في شعر الأمير مما صعّب علينا الإمساك بعناصر الموضوع بكل دقّة.

وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نحمد الله الذي أعاننا على إتمام هذا البحث، ونرجو أن يفيد الغير ولو بالشّيء القليل. كما نشكر الأستاذ المشرف " عمر قلايلية " الذي لم يبخل

علينا بالنصح والإرشاد والعون الكثير، جازاه الله الخير والثواب، كما لا ننسى أساتذة قسم اللغة والأدب إثر مشواري في جامعة بجاية.

يمينة سماح

نشيدة مزوار

في بجاية، يوم: الأحد 12 ذو القعدة 1443ه

الموافـــق ليوم: 12 جـــــــــوان 2022م

مدخل

حياة الأمير عبد القادر

أولا: حياة الأمير عبد القادر

1- النشأة:

ولد الأمير عبد القادر الجزائري الشاعر، والفيلسوف، والفارس، والمجاهد الفذّ يوم الجمعة الموافق للثالث والعشرين من شهر رجب سنة اثنين وعشرين ومائتين وألف للهجرة (1222ه)، الموافق لشهر مايو (أيار) سنة ألف وثمانمائة وسبعة (1807م) بقرية اختطها جدّه لأمه غربي مدينة معسكر في إيالة وهران، وتسمى القيطنة بالقطر الجزائري."[1] وبالإضافة إلى ولادته كان الأمير عبد القادر "موضع حب والده حتى عندما كان في الرضاعة، فإنّ الوالد الحنون كان يصرّ دائما على أخذ الطفل إلى حضنه، وتطورت الملكات العقلية والجسمانية للأمير بسرعة ملحوظة، فكان يقرأ ويكتب عندما كان في الخامسة من عمره، وقد أصبح طالبا في الثاني عشر من عمره، متمكنا من القرآن والحديث والأصول والشريعة، وتحصّل على تسمية حافظ فأعطى دروسا في جامع الأسرة، وقد كان طموحه أن يصبح مرابطا مثل والده.

وفي عمر السابعة عشر اشتهر هذا الشاب بين زملائه بهيئة متكاملة متناسقة وتركيب عظامه، وصدره العريض الغائر، وله قوّة وقدرة على احتمال أشقّ الأتعاب."[2]

ويليه في سيرته الذاتية، ما يمتلكه الأمير عبد القادر من الفطنة واليقظة وقدراته العقلية والجسدية، حيث أكمل دراسته وبرع في مختلف العلوم حتى فاق أقرانه بالأدب

[1] عبد الرزاق السبع: الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبلاغ الشعري، (دط)، 2000م، باتنة 10 مايو، ص12-13.

[2] شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، (دط)، (دت)، شارع الحرية تونس، ص39-40.

والتوحيد والفقه والحكمة العقلية، وكان يحفظ أكثر صحيح البخاري، كما كان له ولع بالفروسية والسلاح لا يهملها، فصار عالما فاضلا وفارسا مدربا وجمع بين السيف والقلم."[1]

فكان دائم الرفقة لوالده، ونشوئه على الدين واليسر، جعل منه دائم التربية والتعليم، فأتيحت للأمير "فرصة أداء فريضة الحج، وأن يتعرّف على تونس الخضراء، حيث أقام بدمشق عدّة شهور تمكّن خلالها من الدروس العلمية التي كان يدرّسها العلماء بالجامع الأموي، بعدها توجّه إلى بلاد الرافدين (العراق)، ونزولا ببغداد عاصمة الرشيد، فتعرّف على مختلف المشاهد التاريخية، ثمّ عاد إلى دمشق، بعدها ذهب إلى الحج مرّة ثانية، ثم عاد إلى الوطن عن طريق برقة وطرابلس وتونس والجزائر العاصمة."[2] وخلاصة ما سبق أنّ "الرحلة المباركة للأمير عبد القادر أتاحت له فرصة الاطلاع على أنظمة البلدان العربية، وسير حياتها في الحكم والإدارة، ومختلف الميادين: السياسية والاجتماعية وغيرها، فرجع مملوء الوطاب موفور الزاد بما يصلح أن يسوس به دولة المغرب الأوسط (الجزائر التي يحتفظ بها له القدر، ويخبئها له المستقبل."[3]

تمتع الأمير عبد القادر في شبابه بصحّة جيّدة، إلاّ أنّه "في آخر أيامه أصيب بآلام وأوجاع خفيفة بالمثانة وحصر البول فتردد عليه الأطباء كثيرا، وكان يخف عليه المرض أحيانا ويشتد أحيانا أخرى حتى وافاه الأجل في منتصف ليلة السبت 19 رجب عام 1300هـ/ 24 مايو 1883م، في قصره بمصيف عن عمر 76 عام."[4]

---

[1] نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط1، 1994م، سوريا، دمشق، ص10.

[2] يحي بوعازيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، (دط)، 1983م، تونس، ص42-43.

[3] المرجع نفسه، ص43.

[4] المرجع نفسه، ص74.

وبعد هذا العمر الحافل والمليء بالإنجازات وفاه الأجل "نقل جثمانه إلى داره بدمشق وبعد أن جهز جثمانه وصله عليه في الجامع الأموي الكبير شيع إلى مرقده الأخير في جامع الشيخ الأكبر بالصالحية في موكب رهيب ضمّ كبار العلماء والأعيان ووزراء الدولة وضباط الجيش والجماهير الشعبية كبارا وصغارا، رجالا ونساء ودفن بجوار قبر الشيخ محي الدين ابن عربي."[1]

وبعد استقلال الجزائر نقلت رفاته بأمر من رئيس الجمهورية هواري بومدين إلى الجزائر "سنة 1388هـ/1968م بعد سبع سنوات من استقلالها، وتمّ ذلك في احتفال رسمي مهيب."[2]

1- الأمير كمجاهد:

لم تقف قدرات الأمير عبد القادر في الدين والثقافة والتعليم، فقد تبيّنت عظمته في مقدرته الحربية والسياسية والكفاح المسلح، فهذا ما اكتسبه "فلكونه قاد حروبا طاحنة، وخاض معارك عنيفة طيلة سبعة عشر عام ضدّ دولة كبرى، وجيش منظم، وتكوين مقدرته الحربية، وخبرته العسكرية، واستمد من والده أصول السياسة، وتعلم العدو الخبرة الحربية، مما أمكن له أن بصبح شخصية كبيرة له مقامه ومكانته في التاريخ الثورات التحريرية."[3]

وحين اضطر حسين داي لتسليم الجزائر لفرنسا واحتلالها عام 1830م، وهذا كان سبب حادثة المروحة التي كانت ذريعة للاحتلال، وهنا بدأ الشعب الجزائري يعاني من ويلات الاستعمار الفرنسي، حتى نادهم الأمير "هرعوا إليه من كلّ صوب وحدب، وخرج

[1] المرجع السابق، ص74.

[2] نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ص38.

[3] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص77-78.

الأمير بجيشه الفتى بعد أن نظّمه ودرّبه، فصال في الميدان وجال في مختلف أنحاء البلاد وقد قام بعمل مزدوج: توحيد صفوف الشعب و تقلّد دور القائد العسكري فقاوم وحارب الفرنسيين، كما تقلّد دور القاضي ففكّ المنازعات بين القبائل، وتقلّد دور السياسي فألّف بين الصفوف المتفرّقة ونازل الفرنسيين في الكثير من المعارك، وانتصر عليهم بأغلب الوقائع خصوصا مدينتي "وهران ومستغانم" حيث أبلى فيهما البلاء الحسن."[1] ورغم الصعاب كان الأمير مصرّا على مواصلة الجهاد ومقاومة العدة، "ولما رأت فرنسا ذلك واشتغاله بالدين والجهاد والوطن هابته وحسبت له حسابا."[2] فقد كان واثقا من نفسه وأمته، مستعدا للموت والتضحية في سبيل الوطن، وقد ألحق خسائر فادحة على العدو الفرنسي، فأقلقت انتصاراته الرأي العام الفرنسي وحكومته، فخلصوا إلى ضرورة القضاء عليه وثوراته.

بالإضافة إلى ذلك أعطى في شخصيته لرعاياه نموذج للشجاعة والقوة والنشاط والمثابرة والورع والحماسة، استسلم إلى خصومه المسيحيين بشروط واضحة، وهي أن يحملوه في حرية تامة، وغير محدودة إلى أرض أخرى إسلامية."[3] والنتيجة من كلّ هذا زيادة خوف العدو من مواجهاته، فوجب عليهم إيجاد حلّ يلزمه الابتعاد عن بلاده وأمّته، أو الخضوع لهم، فأبرم الفرنسيون معه معاهدات ليبعدوه عن الوسط الحربي، وبالنهاية قرر

[1] بركات محمّد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني، (دط)، (دت)، كلية التربية، جامعة عين شمس، ص15.

[2] نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، ص11.

[3] شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، (دط)، (دت)، شارع الحرية تونس، ص295.

الفرنسيون إبعاده عن أهله ووطنه فكان السجن والمنفى هو مصير الأمير، حيث قضى 17 سنة في الجهاد، 36 سنة في المنفى."[1] وهكذا كانت نهاية جهاد الأمير عبد القادر في وطنه.

2- الأمير المتصوّف:

يعدّ الأمير عبد القادر من كبار المتصوّفة، حيث تتجلى معظم صفاته وملامحه بصفة واضحة، وهذا ما يبيّنه في كتابه "المواقف"، فهو خير دليل على صفة التصوّف الموجودة والواضحة في الأمير، فإنّه "يرى أنّ التصوّف هو جهاد النفس في سبيل الله أي لأجل معرفة الله وإدخال النفس تحت الأوامر الإلهية والاطمئنان والإذعان لأحكام الربوبية، لا لشيء آخر من غير سبيل الله."[2]

كما لعبت شخصية والده دورا كبيرا في حياته الصوفية، فهو من سلالة المتدينين والمتعلقين بالدين وروح الإسلام، ولا يخفى لنا تربيته التي تميّزت بالورع والتقوى، فهذا جعله يميل منذ الصغر إلى التصوف حيث تربيته الدينية الصوفية من خلال نشأته في جوّ تربوي ديني، فهو ابن الزوايا والمساجد، فقد نشأ في مدرسة الزاوية التي كان والده أستاذها وتلقى مبادئ العلوم الدينية والفقهية فيها."[3]

فمن خلال تنقلات وسفرات الأمير بين الدول العربية وتعرّفه، على بلدان المشرق، جعلته يتعرف على شخصيات وعلماء في التصوف، وسار بطرقهم وأساليبهم الصوفية فأخذ منهم الكثير لذلك نلاحظ على الأمير عبد القادر "ارتباطه القوى بالفضاء الذي كان يعيش

[1] محفوظ قداش: الأمير ضحية الكلمة التي أعطيت له، الأمير عبد القادر سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة نقلا عن كتاب المواقف للأمير عبد القادر.

[2] بركات محمّد مراد: الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، (دط)، (دت)، جامعة عين الشمس، كلية التربية، ص56.

[3] المرجع نفسه، ص57.

فيه، سواء كان ذلك الفضاء مشكلا من أفكار ورؤى وقضايا أو كان مرتبطا بأشخاص، ومن المعلوم أنّ أهم القضايا المعرفية والفكرية في عصره هي قضية التصوّف، وما يدور في فلكها من نقاش وجدال وما كان يكتنفها حينذاك من جدل حول "الاجتهاد في معرفة الله" وحول متطلبات الراغب في الوصول إلى إحدى مراتب التصوف ثمّ حول علاقة التصوّف بالسلطة وتأثيره أو تأثّره بها."[1]

هكذا وضع البعد الصوفي بصمته في تفاصيل حياة الأمير عبد القادر، ولا نستطيع إنكار تصوّفه فالأمير متصوف أصلا، والتفكير الصوفي متجذّر في أصوله، وهذا كان باديا عليه من صغره إلى كبره في معاملاته وتصرّفاته وشخصيته، وهذا التفكير المتشبّع بالتصوّف يظهر لنا في الكثير من أشعاره ونصوصه ومواقفه الصوفية إنسانيا.

فشخصية الأمير المتصوّفة منحدرة من الفطرة منذ الولادة، فكتب واستدلّ خلال فترات حياته الكثير من الاستدلالات والمواضيع الخاصة في مواضيع التصوّف.

3- المواقف الإنسانية:

يضرب به المثل في الأخلاق والآداب طوال مراحل حياته، يتمتع بروح الإنسانية والترفّع عن الأذى الأمير عبد القادر الجزائري الذي شهدت له الأمّة والتاريخ، وكلّ من قرأ سيرته ومن تعايش معه، فالواقع أن الأمير يهتم كثيرا بموضوع الأخلاق، لجلب راحته النفسية وإنّ "المتأمل في التسامح الذي عرّف به الأمير في أثناء وجوده في الجزائر وخارجها منفيا، يدرك أن الرجل كان على مستوى من الوعي الإنساني المتفهم لحقيقة الإنسان والإنسانية التي لا تؤمن بالحدود والحواجز والعراقيل بين البشر."[2]

[1] مُحَمَّد بشير بويجرة: الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط1، دار المشرق، بيروت، 2000، ص864.

[2] بركات مُحَمَّد مراد: الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، ص117.

فإرادة الأمير أن تكون صلة الوصل والترابط بينه وبين أخيه الإنسان من كلّ معاملاته ومواقفه، "إذ قال حينما بدأت مقاومتي للفرنسيين كنت أظن أنّهم شعب لا دين له، ولكن تبيّنت غلطتي، وعلى أي حال فإنّ مثل هذه الكنائس ستقنعني بخطئي."[1] وهذا ما نأخذه عن الدكتور يحيى بوعزيز الذي يرى أنّ الأمير يأخذ معرفته من الكنائس، كما جاء في قوله السابق، في حين نرى أنّ الأمير أخذ علومه ومعارفه من مصادرها الأصلية في رحلاته إلى دمشق، الحجاز، مصر..إلخ.

وأيضا لدى الأمير عبد القادر أفضال كثيرة ومتنوعة على الجزائر وطنه، وعلى البلدان العربية، وتتميّز هذه الأفضال بمجموعة من المواقف الإنسانية فهو ممن أودع الله فيه صفة الإنسانية التي دفعته لخدمة شعبه، وما الظاهرة الدينية إلا نوع آخر من الإنسانية.

كان الأمير عبد القادر يبذل قصار جهده في سبيل إسعاد أهله وشعبه، فكانت له مواقف عظيمة، تبيّن ذلك الجانب فيه فيتعامل بها مع صغيرهم وكبيرهم، وحرصه على الوفاء بالوعد والوقوف على حدود الوعد، وذلك من أكبر مواقفه الإنسانية.

وأحسن دليل على إنسانيته "وما حادثة دمشق العمولة إلا دليلا آخر على إنسانية الأمير العظيمة، حيث وقف فيها وقفت الرجل الإنساني بما في الكلمة من معنى أتته بعدها رسائل الشكر، وتباشير الخير وشارات الشرف من جميع أطراف الدنيا."

ومن ذلك يظهر لنا الأمير عبد القادر من كلّ مواقفه الإنسانية أصوله العريقة المتأصلة بالدين والقيم الأخلاقية والتواضع الذي ساد الأمة الإسلامية.

[1] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، ص58.

4- الأمير شاعرا:

إنّ نشوء الأمير عبد القادر على تعاليم الدين والعلم المبكرة جعلت منه ذلك الشاب المؤهّل من صغره، وفي سنة مبكرة "بدأت ملكة الشعر تظهر لدى الأمير عبد القادر للعيان، حيث بدأ يقرض الشعر ولم يبلغ العشرين من عمره بعد على الرغم من أنّه لم يسبق له تعلم موازين الشعر ومقاييسه، ولا سبق له أن تلقى أصوله ومبادئه على أستاذ خير في فنّ الشعر وأصوله."[1]

نظم الأمير عبد القادر مقطوعاته الشعرية حول مواضيع عديدة منها: وطنية، دينية نتيجة تعلقه بالدين والأهل والوطن، وجمع بين السيف والقلم وبين الرصاص والحبر وبين القلب وثبات العقل ومنه كان "هناك دائما إحالة متبادلة بين الذات وبين الموضوع، فلا وجود للموضوع إلاّ على أساس أنه محيل إلى الذات."[2] ومن خلال هذا المفهوم نتوصل للقول بأنّ هناك دائما تناسق بين ذات النفس وصلب الموضوع، كما يمكننا تشبيه العلاقة المتواجدة بين الذات والموضوع كالورقة النقدية ذات الوجهين من نفس العملة لا يمكن الفصل بينهما، لأنه إن يغب أحد الطرفين عن الآخر سوف يختل المعنى.

"وعلى الرغم مما يقال عن شعر الأمير في صورة آراء متناثرة لا ترقى إلى مستوى الدراسة الأكاديمية الجادة فإني أرى بأن لشعره اعتبارات مختلفة ومضامين ودلالات خاصة ومتميّزة ترتبط بالعصر والمعرفة السائدة فيه وبالبعد الاستراتيجي الذي كان الأمير بدون شكّ قد رسم ملامحه وأقرّ بفعاليته على المدى القريب في حالة انتصار، والبعيد في حالة الفشل يطمح إليه."[3]

---

[1] عبد الرزاق السبع: الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص15

[2] يحي بوعزيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائر، ص80-81.

[3] بشير بوحيرة محمّد: الأمير عبد القادر رائد الشعر الحديث، منشورات دار القدس العربي، ط1، وهران الجزائر، ص55-56.

ومن خلال هذا القول يتضح لنا أن شعره ذو محتويات ومعاني ضرورية مكملة لشخصيته الفنية، والمصير عن أغراض قصائده التي تتراوح بين الغزل والفخر عبر وصف ذاته وسط كثرة الترحال وغبار الوقائع والمعارك.

إن الأمير عبد القادر لم يهتم بسيرته ككاتب فقط، إنما مثل دوره كقائد عسكري وسياسي، فلذلك تنوع سجل الكتابات عن تاريخ دهائه العسكري، وعبقريته السياسية، تزخر به المكتبات الدولية والوطنية، رغم أن البحوث التي حظيت بها أعماله الفنية ضئيلة، بحيث يرى بعضهم بأنه " ليس من المعقول في هذه الحقب العثمانية المظلمة أن تجد في أي بلد عربي شعرا يغذي الروح ويمتّع الشعور، ويمنح قارئه لذّة فنية، فقد أصبح الشعر أقرب ما يكون إلى اللّهو والهراء، إذ لم يعد الشعراء يعبرون عن حياتهم وعواطفهم، إنما يعبرون عن زخارف البديع اللفظية، بلعا أعشابه التي تخنق الكلام ولا تترك فيه روحا ولا حياة، ونحن إذا قرأنا هذا الشعر لا نقرؤه لنغذي به عواطفنا أو لنزيد ثروتنا العقلية، وإنما نقرؤه على أنه طور من أطوار تاريخنا الأدبي."[1]

ونفهم من هذا القول بأن الشعر في ظل العثمانيين قلّت قيمته، وأصبح عندهم ذا منزلة سخرية وهزء، وأصبح شعراء ذلك العهد يستعملونه لمصالحهم الذاتية والعادية.

[1] شوقي طيف، في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، 1971م، ص28.

الفصل الأول

التصوف والشعر

التصوف في الأدب:

عرف الأدب الصوفي عبر مساره وفي مختلف الأعمال الأدبية، والعديد من التجارب الصوفية في تاريخيه، فبرزت له عدّة مواضيع سواء في الأدب النثري أو الشعر، وخاصة هذا الأخير، حيث بدأ الأدباء يتعرّفون أكثر على الأدب الصوفي ومعانيه وتجلى هذا في التجارب التي خاضها الشعراء في هذا الخصوص.

وتجدر إلى أنّ الإشارة إلى أنّ "كلا من تجربة الشاعر والصوفي تعتمد على "الصراع" في بدء المسار يبدأ هذا الصراع، على ما فيه من تفاوت، يلازم الشاعر في أغلب تجاربه، ولا يتخلص منه إلاّ في حالات عالية من الصفاء والتركيز والاستغراق، وهو حينذاك يقترب من الرؤيا الصوفية التي ذكرناها على حين لابد للصوفي أن يتخلص من هذا الصراع في نهاية التجربة."[1] فهذه التجربة أخذت حضورا كثيفا في مختلف أطوارها، سواء عند العرب منهم القدامى والمحدثين والمعاصرين) أو عند الغربيين فلاسفة منهم أو أدباء.

1- التصوف في الأدب الغربي:

حظى التصوف في الشعر بحظّ وفير في الأدب الغربي، فكان له نصيب كغيره من العلوم والآداب، فنجده معالم واضحة في آذانهم، كما لاحظنا أنّ هذا الأدب الصوفي عرفه الغربيون منذ القديم.

"والتصوف معروف في كلّ الحضارات والأديان منذ قديم الزمان وتستخدم كلمة صوفية (Mysticism) في اللغات الأوروبية للدلالة على الصوفية بوجه عام، أما كلمة تصوّف(Sufism) فهي كلمة حديث استخدمت أول مرة في ألمانيا سنة 1821م، كما يقول

[1] عدنان حسين العوادي: الشعر الصوفي حتى أقوال مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دط، دت، دار الحرية للطباعة، بغداد، ص30.

إدريس شاه: وقد شهد القرن العشرون عودة الاهتمام بالصوفية في الغرب لأسباب تتعلق بالغرب نفسه."[1]

فإذا أخذنا بعين الاعتبار هذه الدلالات والمعاني، تأخذنا إلى رؤية أوسع في الأدب الغربي، فإنهم يربطون العالم الديني المليء بالغموض بالعالم الفلسفي، فيرون أنه، "لا اختلاف بين انصراف أفلاطون عن الدنيا وتحذيره في كثير من أقاويله عنها، وإشارة تجنّبها، وبين ملابسة أرسطو لما هاجر معلمه من حيازة أملاك وزوج، وأولاد وعمل في خدمة الملوك."[2]

أ- التصوف عند أرسطو:

الفيلسوف أرسطو لا تخلو دراسته من التعمق والميتافيزيقية، ولا عن التعقيد ومحاولة معرفة الغيبيات، لذلك اعتبرت دراسته أشبه بعالم المتصوفة المتعلق بجانب من الغموض والدخول في التعمق للمعرفة الدينية والدنياوية، "فلا تخلو عن الإغلاق والتعمقية والتعقيد بالرغم ما يظهر من قصد البيان والإيضاح، فيحذف أحيانا المقدّمة الضرورية في كثير من القياسات الطبيعية والإلاهية والخلقية، حيث يقول أرسطو: "إنّي وإن دوّنت هذه العلوم والحكم، فقد رتّبتها بحيث لا يخلص إليها إلا أهلها، وعبّرت بعبارات لا يحيط بها إلا بنوها."[3]

---

[1] الحلاج (الحسين بن منصور): ديوان الحلاج صنعه وأصلحه كامل مصطفى السيبي، بغداد، ط1، 1947م، نقلا عن: إبراهيم محمود منصور، الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دط، (1945م/1990مم)، كلية الأدب، جامعة طنطاء، ص21.

[2] جبور عبد النور: نظرات في فلسفة العرب، ط1، 1945م، بيروت، ص259.

[3] جبور عبد النور: نظرات في فلسفة العرب، ص261.

فقد حاول مغايرة طريقة أستاذه أفلاطون في كثير من القواعد، حاول أرسطو الموازنة بين العلوم وفهم الظواهر أكثر من أستاذه، فاهتم بقضايا الوجود والمعرفة، الأخلاق والدين...إلخ، وهذا على أساس عقلي خالص، وفي تلخيص لابن رشد لكتاب يخص الفيلسوف أرسطو «فن الشعر» حيث يقول عنه: " أنّ أرسطو في كتابه هذا من الأقاويل المشتركة لجميع أصناف الشعر والخاصة بالمديح، وأنّه المتكلّم على الهجاء، لعلّ المقصود من عند ابن رشد أنّ الشعر التراجيدي هو المديح والمقصود بالهجاء هو الشعر الكوميدي."[1]

فالظاهر أن الفيلسوف أرسطو قد تحدّث أو خاض نصيبا له في الفن الدرامي والكوميدي والذي دمجه بطريقة حيث تطرّق إلى مفاهيم عديدة في قيمة الشعر منها المحاكاة والدراما إلخ، وهذا ما يذكر العديد من المترجمين حول أرسطو وعلاقته بالشعر.

ب- التصوف عند ت .س. إليوت:

قد تطرّق الشاعر إليوت إلى مفاهيم ومعاني ترتقي بمستوى الشعر وربطهم باللغة والثقافة والمجتمع، فجعل منه شعرا مخالفا ومستقيم عن الأجناس الأدبية الأخرى، وأعطى لكل شعر وظيفته، حيث تطرّق إلى الشعر الفلسفي" الوظيفة الخاصة للشعر الفلسفي كمسألة تقتضي تحليلا وسردا تاريخيا على جانب من الإسهاب."[2] فنشرت له العديد من القصائد توضح مذهبه الديني واتجاهاته، ونذكر بعض من أبيات قصيدته "أربعاء الرماد":[3]

[1] أرسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، دط، دت، مكتبة الأنجلو المصرية، ص5-6.

[2] مجموعة من المؤلفين: ت.س.إليوت في الشعر والشعراء، تر: مُحَمَّد جديد، دمشق، دار كنعان، ط1، 1991م، ص12.

[3] مجموعة من المؤلفين: ت س.إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا، تر: ماهر شفيق فريد، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 2001م، ص93.

فإنّي أبتهج لأنّ الأمور تجري على ما هي عليه

وإنّي أجحد الوجه المبارك

وإنّي أجحد الصوت

ولأني لا أقدر على أن أؤمل في التحول مرّة أخرى

فإنّي أبتهج إذ لزام على أن أتبنّى شيئا

أقيم عليه بهجتي

تتضح تجليات التفكير الصوفي لدى إليوت من خلال هذه الأسطر في تقبله نصيبه راضيا به بإدراكه حقيقة الأوضاع على ما هي عليه، وهو يقرر أن ينبذ الوجه المبارك وصوت الدين، فهو برفض الدين والدّنيا معا ما دام لا يستطيع التحول إلى أحدهما، فعليه أن يبدأ من القاع بلا أمل وعليه أن يتبنى شيئا يقيم عليه بهجته بعدها،[1] ويضيف قائلا:[2]

إنّي أصلي إلى الله أن يتغمّدنا برحمته

وإنّي أصلي كيما أصرف عنّي

هذه الأمور التي أناقشها فيما بيني وبين نفسي كثيرا

والتي أشرحها كثيرا

ولأنّي لا آمل في التحوّل مرّة أخرى

[1] مجموعة من المؤلفين: ت س.إليوت شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا، ص104.

[2] المرجع نفسه، ص 93.

فلتكفّر هذه الكلمات

عمّا جنته يداي، على ألّا أعود إليه مرّة أخرى

عسى قضاء الله ألا يكون بالغ القسوة فينا.

يتبيّن السلوك الديني وواقع التعلّق بالخالق الإلهي عند الشاعر إليوت من خلال هذه الأبيات، التي يناجي فيها ربّه براحة البال والطمأنينة، كما يطلب المغفرة والصفح عن الذنوب التي اقترفها، والتوبة توبة نصوحة دون العودة إلى الخطيئة مجددا، كما يسأل الله الرحمة في القضاء.

وخلاصة القول، أنّ إليوت يشكّ في كلّ شيء، فهو لا يستطيع تقبل الله ولا الوجود فهو يائس من الوجود ومن الخلاص لذلك هو يطلب الموت ويرى فيه مصدرا للبهجة والراحة الأبدية، وهي من أهم الرؤى التي ترتكز عليها الصوفية لأنهم يرون الموت راحة من خلال التقرب إلى الله.

ت- ألكسندر بوشكين:

أبرز الشعراء الروس الذي اهتموا باللغة الشعرية، فهو من أعظم الشعراء الذي تطرق إلى جميع الميادين في الشعر، وتغنى في قصائده بالعديد من الأنواع التي منها الحرية، الحب، العبودية...إلخ.

"ومن أشهر هذه القصائد التي تظهر تجليات التفكير الصوفي، عند بوشكين وتأثره بالدّين نجد قصيدة (النّبي) التي يوضح فيها صورة الأنبياء الذين يتعذّبون لكي يوصلوا

أصواتهم إلى قلوب الناس، والمتمعّن في قراءتها يرى أنّها مستوحاة من قصّة شقّ صدر الرسول (ص) في صباه، يقول فيها:[1]

مضنّى بالظمأ الروحي

تعذّبت في صحراء مدلهمّة

ظهر لي عند مفترق الطّرق

سُداسي الأجنحة سيرا فيم

لمس مقلتيّ

تفتحت الأقداح النّبوية

لمس أذنيّ

فسمعت ارتجاج السماء

وطيران الملائكة العلوي

وانتزع لساني الخاطئ

شقّ صدري بالسّيف

وانتزع قلبي المختلج

وغرس إبرة محماة بالنار

في صدري المفتوح

[1] ألكسندر بوشكين: القصائد الشرقية، تر: طارق مردود، ط1، دمشق، 1999م، ص12.

ارتميت مثل جثّة في الصحراء

أرسل الربّ صوتا إليّ:

انهض يا بني وانظر واستمع

نفّذ إرادتي

في هذه الأسطر يبيّن لنا بوشكين كيف أنّه معذّب روحيا حتى ظهر له ملكٌ له أجنحة وطهّره من الآثام والخطايا وفتح عينيه على النّبوة وأمره بأن ينفّذ إرادته، -ومما سبق ذكره- فالمتأمل في هذه الأسطر ومعانيها يرى جليا حضور معاني وبعض ألفاظ الحديث النبوي الشريف: " عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ أتاه جبريل عليه السّلام وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشقّ عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه عَلَقَة، فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طَسْتٍ من ذهب بماءِ زَمزَمَ، ثمّ لَأَمَهُ، ثمّ أعادهُ في مكانه، وجاء الغلمانُ يسعون إلى أمه يعني ظِئْرَهُ (مرضعته)، فقالوا: إنّ محمّدا قد قُتِل: فاستقبلوه وهو منتقع اللّون، قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المِخْيَطِ في صدره."[1]

هذا الحديث الشريف يبيّن الكيفية التي أخرج بها جبريل عليه السلام قلب الرسول ﷺ وغسله من الذنوب والخطايا، وجرّده من رجس الشيطان، وتقريبا هو نفس الأمر الذي نراه عند بوشكين.

[1] الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، شرح الإمام النووي، ج1، بيروت-لبنان، ص75.

2- التصوف في الأدب العربي القديم:

لقد كان بين التصوف والشعر علاقة منذ القدم، فكانت هذه العلاقة تربطهما في كثير من الأغراض، فإنّ هذه المواضيع بدأت تدريجيا من العصر الجاهلي إلى صدر الإسلام، والعصر الأموي وصولا إلى العصر العباسي، إلى العصر الحديث والمعاصر.

"الشعر الصوفي كلّه يطرح منذ وجد هذا الأدب، وذلك الشعر إشكالات لا حصر لها، ذلك أنّ هؤلاء يعبّرون عن عوالمهم وعن خواطرهم بأدب وشعر بلغة عربية، بلغة إنسانية اصطلح عليها أهلها، وعرفت منذ جاهليتها في الشعر الجاهلي، ثمّ لبست ثيابا جديدة في القرآن، ثمّ تطوّرت مع ما عايشته في عصر الترجمة في دار الحكمة بل في حالة تطور دائم منذ القدم وحتى اليوم."[1]

ولكي يكتمل لدينا هذا المفهوم نتطرق لهذه العصور، ونتعرف على أهم الشعراء الصوفية لديهم، وما القضايا المتطرّق هلها.

[1] محمود عزب: الحب والخمرة في الشعر الدنيوي إلى الشعر الصوفي، دراسة نقدية تحليلية، ط1، 2005م، هلا للنشر والتوزيع، ص90.

أ- الشعر الصوفي في العصر الجاهلي:

التصوف ظاهرة شاعت في كثير من الأمم، وفي مختلف أزمنة التاريخ، فقد عرف عند الهنود والصينين والفرس واليونان وعند اليهود والمسيحيين والمسلمين، وعرفت بعض ألوانه بين عرب الجاهلية."[1] فتبيّن في أشعار الجاهلية كلمسة خفيفة لم تعط له اسما، وتجلى عبر نفحات شعرية ظاهرة في تلك الألفاظ والمعاني الموجودة.

إنّ المتتبع لأشعار العرب منذ الجاهلية، يجد فيه صورة العاطفة، والمحبة والتعلق بالخمرة، والبكاء على الأطلال.... إلخ، فلا طالما كان الشعر الجاهلي مصدرا ومرجعا أولا للحياة الاجتماعية، وجميع أشكالها ومواضيعها، وأيضا الحياة العاطفية لديهم وكان "موضوع المحبة في الشعر قد شقق في تفرغات كثيرة تبعا لنظرة المحبّ وتجربته، والمقام الذي صار إليه مع المحبوب، فقد تناول الشعر الصوفي موضوعات حقيقة الوجود فيض التجليات الإلهية على قلب صوفي، التوحيد الشهودي الظاهر والباطن."[2]

فنجد في الشعر الجاهلي نفحات قليلة للأدب الصوفي، ولكن مع قرابة نهاية العصر الجاهلي تقريبا نجد بعض الحضور للتفكير الصوفي في بعض أشعارهم أمثال: " لبيد بن ربيعة، امرؤ القيس، عمرو بن كلثوم، طرفة بن العبد."[3] كانت تصرفاتهم وأشعار هؤلاء شبيهة بالأدب الصوفي، ولكن أغلبها عبارة عن روحانيات فقط.

---

[1] عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوّره حتى آخر القرن الثالث الهجري، مطبعة الرسالة، 1954م، شارع حمودة المفادل 3عبابري، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص21.

[2] يوسف زيدان: شعراء الصوفيون المجهولون، ط2، 1996م، بيروت، ص132.

[3] محمود عزب: الحب والخمرة في الشعر الدنيوي إلى الشعر الصوفي، ص14 إلى 16.

ونمثل لهذه الومضات الصوفية في أبيات لطرفة بن العبد، الذي يتحدّث في معلّقته الشهيرة عن عدّة موضوعات، ويبثّها فلسفته في الحياة وهو يطلب منك إن أردت لقاءه أن تلتمسه في حلقة القوم وإلا فهو في الحوانيت يشرب.. وهو في مجلس الشراب يصف لك الندامى والقينة:

نداماي بيض كالنّجوم وقينة تروح علينا بين بُرد وتجسّد

رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بحس الندامى بضة المتجرد

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا على رسلها مطروقة لم تشدّد

إذا رجّعت في صوتها خلت صوتها تجاوب أظار على ربع رد

فطرفة بن العبد هنا يتحدّث عن المرأة، كما يتحدّث عن الحب، وعن هيامه في سكرته، وأنه يعدّ اللّذة ثلاثة أشياء: الشرب، المرأة، وإغاثة الملهوف.[1]

إلاّ أنّ هذا لا يجعلنا نأخذ بأشعارهم، كشعر يخدم المتصوّفة، لأنّه لم يتبيّن منه إلا نفحات غير واضحة وهي عبارة عن روحانيات، "فكان أكثر ألوان الشعر الجاهلي روحانية، لأنه لم يقم على تصوير رأي ديني مأثور."[2]

وهذا كان في مقربة نهاية العصر، الذي أخذ منطلقا في نهاية العصر الجاهلي، وبدأ العصر الإسلامي وانطلاقته في الدعوة الإسلامية.

[1] ينظر: محمود عزب: الحب والخمرة في الشعر الدنيوي إلى الشعر الصوفي، 16-17.

[2] عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث هجري، مطبعة الرسالة، 1954م، شارع حمودة المفادل 3عبابري، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ص126.

ب- الشعر الصوفي صدر الإسلام والعصر الأموي:

أما شعر الشعراء في صدر الإسلام، فكان نابع من فكرة الدين والإسلام، أين تغيّرت المضامين ووجدت أغراض جديدة للشعر العربي. فإذ يرى "ابن خلدون" أن العرب انصرفت في أول الإسلام عن الشعر بما شغلهم من أمور الدين والنبوّة، والوحي وما أدهشهم من أسلوب القرآن ونظمه، فأخرسوا عن ذلك وسكتوا."[1] إلاّ أننا نلتمس صعوبات كبيرة في التغيير في أوائل الديانة الإسلامية، خاصة مع تصبّغ العرفان الجاهلي فيهم.

لذا أوجبهم الإسلام على التغيير من تلك النظرة وتلك الوجهات، لينظروا للشعر بنظرة مغايرة عمّا سبق، فيرجعوا الشعر تتخلله الحكم والمواعظ، والصدق الحسي، ونبع الأخلاق والدين "أي أنّ الإسلام جعل الشعر يجري في نطاق تعاليم الدين، وعلى هدى آدابه وفي رعاية مثله الخلقية بعد أن كان منطلقا حرّا لا يحدّه عرف ولا يقيّده دين."[2]

فشهدت أشعار الصوفية نبعا جديدا خالصا من الحب الإلاهي، ومدح الرسول، وكان كلامهم كلّه يقتصر على الدين وما جاء فيه، فنرى امرؤ القيس يصف خوفه وزلزاله في حضرة النبي (ص):[3]

لقد أقوم مقاما لو تقوم به أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلى أن يكون له من الرسول بإذن الله تنويلٌ

[1] كارلونا للينو: تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بن أمية، دار المعارف بالقاهرة، ط2، سنة 1970، ص:103.

نقلا عن: محمود عزب: الحب والخمرة، ص22.

[2] عبد حكيم حسان: التصوف في الشعر العربي، ص129.

[3] محمود عزب: الحب والخمرة، ص25.

ليعرّف منحى آخر أيضا في العصر الأموي، حيث بدأ الدين ينتشر بكثرة فأخذ الشعراء مفرداتهم ومعانيهم فازدهر الشعر، واتسعت مواضيعه، فركز الشعراء على الدعوة الإسلامية.

وفي هذه الفترة بدأنا نلتمس العذوبة في أشعار الصوفية، لنصل إلى نظرة المتصوفة الواسعة في وجود الإله، ووصف الرسول، والمدائح الدينية، وأيضا بعث القيم الدينية في مجتمعاتهم.

فالشاعر الصوفي مقتدي بالدين والسنة، فيعتبرونهم القدوة أو المثل الأعلى، فتجلى هذا في جميع قصائدهم، مع أنّه رافقهم ذلك الحب العفيف النقي، والمتعلّق دائما بخالقهم سبحانه وتعالى، "فهكذا نصل إلى تقرير الصلة الوطيدة بين الغزل العذري، والحب الصوفي بين مسلك الزهاد الأنقياء، ومسلك العشاق المتعففين، وذلك لما بين العفة في الحب وبين الزهد في ملامح متشابهة."[1]

فلهم أشعار توحي بهذا العالم الصوفي المليء بالحب والعشق الإلاهي، تقول ربيعة العدوية:[2]

أحبّك حبّين حبّ الهوى وحبّا لأنـــــــــك أهل لذاكا

فأمّا الذي هو حبّ الهوى فشغلي بذكرك عمن سواك

وأمّا الذي أنت أهل له فكشف لي الحجب حتى أراك

[1] محمود عزب: الحب والخمرة، ص42.

[2] نفس المرجع، ص44.

فيتبيّن علاقة الشعراء الصوفيين المرتبطة بربهم، فكان غزير المعاني، متميّز بالزهد، واستيعابهم للدين الإسلام، وكان لهم أساس عملي ومبدأ من مبادئهم، في حياتهم اليومية، تغيّر المسار المعتاد عليه، وتبدل ذلك الغزل والحبّ الجاهلي إلى مجرى آخر مغاير لنظرة المحبّ والمحبوب، وأبعدوا تلك الآراء والأفكار السائدة عن الشعر قديما. ففي هذه الفترة حيث عرف الصّدق والأخلاق الحميدة والمحمودة، وتجاوز الوقائع التي كانت تسود المجتمعات الجاهلية، وما يسودها من فساد.

ث- الشعر الصوفي العصر العباسي:

عاكس العصر العباسي ما سبقه من عصور، حي كان أكثر تفتحا وشيوعا، فتغنوا بالخمرة " فانطلقت من عقالها، وأسفرت عن وجهها، وارتقت بارتقاء معاقريها في جلسات الخلفاء والوزراء، في حواضر الإسلام في بغداد وقرطبة، وإشبيلية وغيرها من الحواضر، وصار لها جلساؤها وشاربوها وندامها وساقيها وقيانها."[1]

ومن أشهر شعرائه نجد "أبي نواس" الذي يعتبر قائد مذهب الشيوعية، الذي كان شاعر الخمرة بامتياز في العصر العباسي، فتناول العديد من الأغراض في عصره، فمدّ بتراكيب جديدة ومعانٍ أوسع، وبالإضافة إلى تقاليد وعادات لم يتعوّد عليها الشعراء من ذي قبل، فكان "أبو نواس يبحث عن فردوس أرضي، وكانت الخمرة هي الباب الذي ولج منه للهجوم على الأعراف والتقاليد، وهو يسجل صراحة ويعلن نهاية العهد بالبداوة، وشغف العيش، ويلعن البكاء على الأطلال، ويقول في شعر له:

عاج الشّقي على رسم له يسائله ورحت أسأل عن خمارة البلد

[1] المرجع السابق، ص34-35.

فسخر من الحياة البدوية، وكشف بؤسها ودعا إلى الترف، كما دعا إلى اللهو والتمتع بما تعج به حياة العرب والمسلمين في عصره، فقال:[1]

دع الأطلال تسفيها الجنوب وتبلى عهد جدّتها الخطوب

ولا تأخذ عن الأعراب لهوا ولا عيشا، فعيشهم جديد

إذا راب الحليب فبل عليه ولا تأثم فما ذاك حــوب

فحاول الشاعر حلّ كلّ معتقدات المعقدة في المجتمعات، في هذا الوقت حاول إثراء المعنى، واستخدام ألفاظ لتوسيع الصورة والفهم الكثير.

وبعد شيوع الزندقة والانحلال الخلقي في العصر العباسي، ظهر تيار الزهد كتيار معاكس له يسعى إلى إيقاظ الناس من غفلتهم، ظهر العديد من علماء الصوفية في هذا العصر، وتخصصوا علومها، ومنهم نذكر: إبراهيم بن الأدهم الذي يعتبر من أشهر متصوفي الدولة العباسية زهد في الحكم ولبس الصوف وطاف في البلدان، وكذلك نذكر الفضيل بن عياض وشقيق البلخي"،[2] إضافة إلى "معروف الكرخي، بشر بن الحارث الحافي منهجه التصوف والزهد بالعمل، والحارث المحاسبي الاعتماد على منهج الكتاب والسنة، ومحاسبة النفس ومجاهدتها، سري السقطي منهجه الحب علاماته الانقطاع لله، كذلك أبو الحسن النوري أبو سعيد الخراز أبو القاسم الجندي والحلاج وغيرهم.[3] وقد تميّزت صوفية هؤلاء بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في درجات المشاركة المباشرة

[1] محمود عزب، الحب والخمرة، ص 37-38.

[2] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة، 1966م، ص85.

[3] معتوق جمال فرحات فتيحة، بحوث في التغيير الاجتماعي، ظاهرة التصوف الإسلامي "فهم التجربة الصوفية الإسلامية"، دار الكتاب الحديث، 2013م، القاهرة، ص26.

في تغيير المنكر باليد، فمنهم من رفض العمل في أجهزة الدولة لكنه ظل يشارك في الحياة السياسية من خلال ما يقدّمه من نصح ووعظ، وهناك من انعزل تماما عن الحياة الاجتماعية والسياسية وانقطعوا فقط إلى العبادة.[1]

ظهر الحب كطابع مميز للتصوف في ذلك الوقت، إضافة إلى نظمهم في العديد من الأغراض الشعرية الأخرى.

بدأ في هذا العصر الاهتمام بجانب الفلسفة والدين وتبادل الثقافات الأمر الذي دفعهم إلى الزهد بعد مرحلة التصوف، " ولقد مرّ التصوّف بمراحل منذ نشأته، أولا عرف بالتصوف السلمي، ثمّ التصوّف البدعي، ثمّ ظهر ما يعرف بالتصوّف الفلسفي."

"لابد لكل دين أساس فلسفي يبني عليه أصوله، لأنّ المؤمن الأول يأخذه على علاته دون إنعام فكر، ويطبق تعاليمه على نفسه دون أن يتساءل على قيمة هذه التعاليم، ومبلغها من الصحة."[2]

3- .الشعر الصوفي في الأدب العربي الحديث والمعاصر:

تعتبر كلّ الدراسات التي سبقت العصر الحديث كخطوات سابقة يرتكز عليها المحدثون لاستكمال هذا العلم، وإثراء موضوعات الشعر الصوفي، فإنّه لم ينل بعد ما هو جدير به من اهتمام الدارسين، سواء في ميدان الدراسات الصوفية، أو في حقل البحوث اللغوية، وذلك على الرغم من أهميته في كلا التخصصين، ومكانته التي لا يمكن التجاوز

[1] عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، المكتب الجامعي الحديث، دط، 2009م، ص264.

[2] جبور عبد النور: نظرات في فلسفة العرب، ص84

عنها في كليهما."[1] فإنّ العودة إلى هذه الدراسات كانت لها فضل في انتاج أعمال أدبية جعلت من التصوف واسع الأفق في العصر الحديث، وأبعد نظر لما سبقه.

ويحتوي الأدب الصوفي على عاطفة صادقة وتجربة عميقة، وطالما كاوا يحافظون في شعرهم على الوحدة العضوية للقصيدة، وعلى الفكرة والمضمون مع الاهتمام كذلك بالصورة والشكل."[2] فمنح الشاعر الصوفي الصورة الحديثة، وأخرجها من دائرة الماديات إلى عالم المعنويات والمحسوسات.

إنّ التصوّف باعتباره فكرا أصبح لديه مكانة عالية في تاريخ الشعر العربي المعاصر وخاصة في التراث وهذا من خلال التمثيل به.

والأثر الذي تركته هذه التجربة الصوفية في شعرنا العربي المعاصر هي كونها " أول من أشار إلى أن التجربة الروحية شبيهة بالرحلة حيث في سعيها وراء الحقيقة سفرا مضنيا مليئا بالمفاجآت والمخاوف في طريق موحش طويل، قد ينتهي بسالكه إلى النهاية السعيدة."[3]

حيث نجد أدونيس استخدم الرمز الصوفي وهذا لارتباطه بالتراث "لأنّه يصطنع لنفسه لغة خاصة لا يعرفها غير أصحابها، ولا يفكّ رموزها إلا عارفوها، وهو يتعامل مع الرموز الصوفية بطريقته الخاصة لأنه يضعها في مدارات خاصة به، فالصوفي مصدر

[1] يوسف زيدان: شعراء الصوفيين المجهولين، ص134.

[2] مُحَمَّد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، دط، دت، دار غريب لطباعة، القاهرة، ص64.

[3] صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، مج4، دار العودة، بيروت-لبنان، دط، 1977، ص24.

فيض نوراني وهو الذي يمنح الضوء كي يتمكن من رؤية الأشياء التي لا يراها الإنسان العادي."[1]

ويعدّ أدونيس أكبر شاعر معاصر استفاد من تراث الصوفية وتأثر به، فنجده وظف الرمز الصوفي في قصيدة "تحولات العاشق":[2]

أيها الجسد انقبض وانبسط واظهر واختفي

فانقبض وانبسط وظهر واختفى

تناول الشعر العربي الحديث والمعاصر الكثير من المواضيع المتعلقة بقضايا الفكر الصوفي، فتخلله الكثير من الإيحاءات والرموز، وحاول شعراء هذا العصر أمثال محمود سامي البارودي، أحمد شوقي، حافظ إبراهيم، وبدر شاكر السياب، نازك الملائكة، صلاح عبد الصبور، الوقوف عند أحداث القصيدة الجديدة، فرأوا أنه من المستحسن التغيير في الشعر ليرقى إلى مستوى الأدب في العصر الحديث.

يقول سامي البارودي من قصيدة له:[3]

أبيت في غربة لا النفس راضية بها ولا الملتقى من شيـــعتي كثب

لكل دمع جرى من مقلة سبب وكيف يملك دمع العين مكتئب؟

فهل دفاعي عن ديني وعن وطني ذنـــــــــــــــب أدان به ظلما وأغترب

[1] عدنان حسين قاسم، الإبداع ومصادره الثقافية والفنية عند أدونيس، الدار العالمية، القاهرة-مصر، دط، ص245.

[2] أدونيس، تحولات العاشق، ص144.

[3] نصر مُحَمَّد الحسين التيسي: تيمات الشعرية عند مدرسة البعث والإحياء محمود سامي البارودي وأحمد شوقي نموذجا، مجلة العهدة في اللسانيات وتحليلي الخطاب، جامعة مُحَمَّد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مجلد6، عدد1، 2021، ص333.

فلا يظـــــــــــــن بن الحساد مندمة فإني صـــــــــــــابر إلى الله محتسب

وصف الشاعر عزلته وبعده عن الأهل والوطن، وأيضا حبّه للدين ودفاعه عنه، وأيضا يتبيّن لنا مدى تعلّق الشاعر بالدين والخالق. وأيضا يظهر تعلّقهم بالمذهب الصوفي، وتأثّرهم به، فكان هذا واضحا جدا في لغتهم الشعرية والفلسفية.

وفي دراستنا للأثر الصوفي في الشعر المعاصر يجب ألا نغفل أثر الفلسفة الوجودية عليها، فقد كان ارتباطها بالشعر الحرّ واضحا ووثيقا من خلال موضوعاتها التي تتناول القلق والمسؤولية وموقف الإنسان من العالم والحرية باعتبارها المعاني الكبرى التي تنطوي عليها الوجودية.[1]

ونجد في قصيدة لبدر شاكر السيّاب (مرثية الآلهة) يصور الدمار والأسلحة القتالة في عصرنا، كأنها آلهة في بطشها، فيقول:[2]

فنحن جميعا أموات

أنا ومحمد والله

وهذا قبرنا: أنقاض مئذنة معفّرة

عليها يكتب اسم محمد والله،

على كسرة مبعثرة

من الآجر والفخار

[1] ينظر: إبراهيم محمّد منصور، الشعر والتصوف المعاصر، ص87-88.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص90-91.

فيا قبر الإله، على النهار

ظل لألف حربة وفيل

لقد تسببت الحروب والانتهاكات الدائمة لحرية الإنسان وحقوقه واغتصاب أوطانه وسلب أمانته في زلزلة يقينه، ودرمت العقيدة والإيمان، فكانت النصوص الصوفية هي أهم ما اتجه إليه الشاعر المعاصر، ليس عن عقيدة بل ليتخذ التصوف مذهبا وطريقة للحياة، ومهربا لعبّر به وفيه عن توتّره وقلقه وما يعتريه من خلجات في صدره. فكانت تلك النصوص الصوفية وعاء مناسبا للتعبير عما يخالج الإنسان الحديث والمعاصر.[1]

أ- التصوف في الشعر الجزائري:

تناول الشعراء المغاربة عامة، والجزائريون خاصة ملامح الخطاب الصوفي في أشعارهم ممثلة في قضايا الفكر الصوفي ومحاوره الكبرى كوحدة الوجود والحقيقة المحمدية والحب الإلهي، والذي نجده ظاهرا بقوة في الشعر الجزائري.[2]

وبما أنّ الشعر الجزائري جزء مهم من التراث الصوفي العريض، فلا شكّ أنّ له أعلاما حملت لواءه، فقد عجّ القرن السابع بأسماء جزائرية تعود أصلا إلى بيئات ثقافية أثناء هذه الفترة وما بعدها في العديد من المناطق نذكر منها مليانة، بجاية، زواوة، تلمسان...،[3] مثل: أبي مدين شعيب التلمساني الشاعر المتصوّف المشهور، وعبد الرحمان الثعالبي،

[1] ينظر: إبراهيم محمّد منصور، الشعر والتصوف المعاصر، ص90-91

[2] ينظر: عبد الوهاب عبوسي: ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، مجلة إشكاليات في اللغة والأدب، جامعة الجزائر2، الجزائر، ص2019، ع5، مجلد9، ص455.

[3] ينظر: محمّد مرتاض، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسينية المهجرية الثانية، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دط، 2009م، ص8-9.

الشعراني، وعبد الرحمان الملقب ببوقبرين، والسنوسي، ومن الشعراء البارزين أيضا عفيف الدين التلمساني وغيرهم كثير.[1]

ويمكن القول كذلك أن التصوف كان الطابع العام للحياة الثقافية والأدبية في العصور الأخيرة في المغرب العربي عامة والجزائر خاصة، وانتشار التصوف في الجزائر مردّه إلى النشأة الدينية للشعراء الجزائريين التي كان مهدها الأول الزاويا والمساجد والكتاتيب التي بثّت فيهم الوازع الديني من خلال تعاليم القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والتي احتضنت أيضا أساليبهم وموضوعاتهم وأفكارهم.[2]

وعليه، فإنّ الأمير عبد القادر يمثّل جزءا لا يستهان به من الشعر الصوفي الجزائري الحديث من خلال المصطلحات والتعابير التي حملت معانٍ وجدانية وروحية ونفسية واجتماعية ما جعلها وثيقة الصلة بالحياة الأدبية.[3]و

كذا تظهر تجليات قضايا الفكر الصوفي في شعر الأمير عبد القادر باعتبار معانيها تؤدي إلى الإيمان والمحبة والمعرفة والتوحيد مع اختلاف الطرق والمناهج للوصول إلى الحقيقة المجرّدة، حقيقة معرفة العبد لخالقه والإذعان بالطاعة والخشوع والإقرار بالوحدانية والرّبوبية ودليلنا على ذلك ما تره من قصائد صوفية سنذكر بعضا منها كنماذج في الفصل الثالث (التطبيقي)، والتي يظهر فيها تصوّفه وعميق إيمانه بالمولى تبارك وتعالى وبقصائد وقدره.

[1] ينظر: عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1981م، ص243.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص143.

[3] ينظر: عبد الوهاب عبوسي: ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، ص455.

الفصل الثاني

البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر

1- اللغة الصوفية في شعر الأمير عبد القادر:

إن اللغة الصوفية من أسمى اللغات التي تناولها وتداولها الأمير عبد القادر لزرع روح المقاومة والترشيد لقيم الثورة في خطابه السياسي والعسكري، " لإقامة مشروعه الذي خلق في رحم هذه اللغة الصوفية، واكتملت ملامح بنائه في تلك المقاومة التي استشرقت من خلالها الجزائر مستقبل الثورة، للتحرر من وحشية الاستعمار وتجاوز أشكال العنف والقمع والبأس والفقر، التي تعايش معها الشعب الجزائري ضمن تاريخ نضاله."[1]

نفهم من خلال تجليات هذا القول إن اللغة الصوفية ساعدت الأمير عبد القادر في بناء روح الاستقلال والتحرر في نفس شعب وطنه والتخلص من جميع المشاكل التي تبعتها جراء الاستعمار.

لقد ساهمت جهود الأمير عبد القادر في تبلور خطابه الصوفي وبروزه كأحد المناهج التي سار عليها في طريقة إنشاء أسلوبه للكتابة والتدريس، "فلولا الكتابة ما استقام للناس دين ولا دنيا، كما يقول الأمير "فالكتابة عين العيون، بما يبصر الشاهد الغائب، وفي الكتابة تعبير عن الضمير بما لا ينطق به اللسان." ومن هنا يأتي اهتمام الأمير بالكتابة والتأليف، على الرغم من تعويله في تدريسه وتربيته لتلاميذ ومريديه على الشرح والتحليل شفاها في الزاويات والمساجد وحلقات العلم، ضاربا الأمثلة والنماذج على ما يقول إلا أن الكتابة في نظره تساعد على التفسير والتعبير وتهيئ للفكر فرصة للتحليل والتعليل."[2]

---

[1] بن طرات جلول، اللغة الصوفية وتجلياتها في فكر المقاومة عد الأمير عبد القادر، مجلة آفاق الفكرية، العدد الرابع، شتاء 2016، ص:121.

[2] بركات مُحَمَّد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد الصوفي، كلية تربية جامعة عين الشمس، دار النشر الالكتروني، دط، دس، ص:36.

من خلال هذا القول نستنتج أن ما يشرح أو ما ينطق به دون الكتابة، فهو معرض للنسيان والضياع على عكس الكتابة التي تعتبر قيد يمكن لنا أن نعود إليها متى أردنا، أي أنها محفوظة وهذا ما تجلى عند الأمير عبد القادر من خلال المقولة التي تطرقنا إليها أعلاه، فقد اهتم كثيرا بالكتابة وطريقة سير منهجه في التدريس، كما أنّ الكتابة عنده تنتج لنا فكرة الاستفسار والمناقشة.

ويقول بن طرات جلول: "هذه اللغة الشعرية تحمل رؤيته الصوفية التي جعلت منه إنسانا محافظا وهب حياته لدينه ووطنه، وهذا ما يعكس شخصية الأمير التي أنصفها قادة الاستعمار الذين عجزوا عن مقاومته، فقد جعل التاريخ عدة شهادات حية تعكس تمسّك الأمير بمبدأ تقرير المصير والدفاع عن مكتسبات المقاومة، وهو ما حمله على إرساء دعائم هذا الفكر..." [1]

من خلال هذا القول نجد بن طرات جلول يصف الأمير عبد القادر بأنّه رجل صوفي يتميّز بصفات عظيمة التي جعلت منه إنسانا ملتزما محبّا لوطنه ودينه، كما دافع عن مكتسبات المقاومة كمقاومة الاستعمار والغزو الثقافي والفكر.

من خلا تمعننا في شخصية الأمير عبد القادر من ناحية مهاراته في لغته الصوفية هدفه هو ترسيخ ثقافته الدينية في أذهان شعب وطننا، وبلورت كلّ التعاليم القرآنية لمقاومة وتصدّي الوجود الاستعماري وكلّ مظاهر الغزو الثقافي، فإنّ فلسفة الأمير سارت من خلال التقلب والقضاء على الثقافة الاستعمارية من خلال طبيعة الإعداد الروحي للجندي الجزائري والاستئناس للغة الصوفية لترقية فكر المقاومة.[2]

[1] بن طرات جلول، اللغة الصوفية وتجلياتها في فكر المقاومة عند الأمير عبد القادر، ص:122.

[2] ينظر: المرجع السابق، ص:123.

2-توظيف الرمز الصوفي:

من خلال دراستنا لشعر الأمير عبد القادر نجد أنه أبدع في قضايا التي سنذكرها، ذلك أنه لم يخرج عن إطار روح التقليد متبلورة في شعره، الذي تناول في شعره الصوفي عدّة قضايا ودوائر التي تتمثل في: (دائرة الشك، ودائرة الخمرة (الحب الإلاهي) والمرأة (الحب الإلاهي) كما نتطرق إليها:

2-1 الرمز الشكي:

الشك عند الأمير عبد القادر هو الوسيلة الذي دفعة للجوء إلى الله لتوصله إلى الحقيقة الإيمانية والإلهية من أجل تحقيق الطمأنينة، وبذلك تأثر الأمير عبد القادر في كتاباته الصوفية كما يرى "ابن عربي" "أن المتصوّف شاعرا أو مفكرا، يبدأ من نقطة الشك لأنه الطريق إلى المعرفة، وهو في هذا يلتقي مع الفيلسوف لكن جوهر الاختلاف بينهما يكمن في الوسائل والسبل، فبينما يعتمد التفلسف في براهنه على استخدام العقل إذ يهيم محبة وعشقا في محبوبه ليضمحل كيانه العادي في حفرة المحبوب حتى يتحقق له الكشف أو المعرفة."[1] مما سبق ذكره توصلنا إلى أن المتصوف شاعرا ينطلق من مبدأ الحيرة والشك من أجل الوصول إلى الحقيقة والمعرفة، وكذلك نجد المتصوف يلجأ إلى استخدام مهاراته الذوقية بواسطة حفرة محبوبه لتحقق له الكشف أو المعرفة.

[1] عبد الوهاب عبوسي، ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، جامعة الجزائر2، أبو القاسم يعود الله، الجزائر، مجلة إشكالات في اللغة العربية والأدب، مجلد:9، عدد:05، السنة 2019، المركز الجامعي لتامنفست، الجزائر، ص458.

وذلك ما نستنتجه من خلال قصيدته "يا غدا عابدا لفكرة" التي يقول فيها:[1]

يا من غدا عابدا لفكرة فقف

فأنت يا غافلا على شفا جرف

جعلت عقلك عاديا ونور هدى

أضلك العقل أين أنت في تلف

من خلال هذه الأبيات نستخلص بأن كثرة التفكير يدفعنا إلى الدخول في الغيبات والأوهام أبعد ما تكون عن الله، على الرغم من أن الشاعر صوفي إلا أنه لم يجهل الشريعة ودعا إليها، وذلك يتجلى في قوله:[2]

عليك بالشرع فالزم طريقته

فحيثما سار سر وإن يقف فقف

إن قال ليس كمثلي شيء قل هو ذا

أو قال لي أعينا فقل بذا كلفي

نلاحظ من تجليات هذا القول أن الشاعر يرى أنه أصوب السبيل لإعداد إلى الحق تبارك وتعالى في الشريعة الإسلامية في الدليل الصارم على وجود الله.

[1] الأمير عبد القادر، ديوان الشاعر، جمع تحقيق، شرح وتقديم: د. العربي دحو، سالة، طبعة ثالثة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007، ص:127.

[2] المرجع نفسه، ص128.

2-2 الرمز الخمري "الخمرة الإلهية":

وظف الأمير عبد القادر رمز الخمرة الإلهية في عدّة مواضع من قصائده الصوفية، في قوله:[1]

ويشرب كأس صرفة من مدامة

فيا حبذا كأسا ويا حبذا الخمر

معتقد من قبل كسرى مصونة

وما صفها دنّ ولا نالها عصر

ونلاحظ من خلال هذه الأبيات الشعرية أنه أشار إلى رمز ذوق المحبة بالمدامة والخمرة وما يحتويها من دنّ أصابها عصر والخمرة في الشعر الصوفي ترمز إلى المعرفة.

"والخمر عند الأمير هي العلم كلّ العلم، ذلك أنّ نسبة هذه الخمرة إلى العلم كنسبة النقطة إلى معيار الدائرة، فهي مرتكز تدور حوله" وتتكئ عليه كل العلوم والمعارف:[2]

هي العلم كل العلم والمركز الذي به كل علم كل حين له دور."

نستخلص من هذا القول أنّ الخمر بالنسبة للأمير عبد القادر هو العلم الذي بواسطته تتحقق كلّ المعارف والعلوم.

---

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، شرح وتحقيق: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دط، دس، دمشق، ص:143-144.

[2] بركات محمّد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد الصوفي، ص78.

ذكر الأمير عبد القادر رمز الخمرة في قصيدته "تجلي المحبوب":[1]

وقد شرب الحلاج كأس مدامة

فكان الذي قد كان من مسطرا

وإني شربت الكأس والكأس بعده

وكأسا وكأسا شيا ما أنا حضرا

ومازال يسقيني ومازلت قاتلا

له زدني ما ينفك قلبي مسعرا.

هذه الأبيات حملت في طياتها دلالات رمزية، حيث أشار الشاعر على ذكر الحلاج بعد شرب بالمدامة، بينما الأمير يوضح بأنّه يشرب كأسا ويضيف كأسا أخرى ليزداد فيها حبّا كما استخدم الأمير بعض الكلمات مثل: مدامة، كأسا، الشرب.. إلخ

3-2 رمز المرأة (الحب الإلاهي):

هناك أوجه تشابه بين تجربة الحب الإنساني بتجربة الحب الإلاهي، كما يعتبر رمز المرأة من أبرز الرموز التي استخدمها بكثرة في شعر المتصوفة ويقول الأمير عبد القادر في هذا:[2]

يقولون لا تنظر سعاد وعلوا

وعد من الآثار واقصد لمن تهوى

[1] الأمير عبد القادر الجزائري، ديوان الشاعر، ص122.

[2] عبد الوهاب العبوسي، ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، ص461.

فإنك مكلوم الفؤاد متيم

أخو جنة منها دواؤك ذا أدوا

نظرت إليه والمليحة تحسبن

نظرن إليها لا ومبسمه الأضوا.

توصلنا من تجليات هذا القول أن الشاعر وظف رمز المرأة لأنه عبارة عن رمز من رموز الذات ألحق في الشعر الصوفي ليعبر عن حبه الإلهي والأنثوي وتجربته الإنسانية.

كما أشار الأمير في قصيدته "مسكين... لم يذق طعم الهوى" من خلال قوله:[1]

أوقات وصلكم عيد وأفراح

يا من هم الروح لي والروح والراح

يا من إذا اكتحلت عيني بطلعتهم

وحققت في محيا الحسن ترتاح

دبت حمياهم في كل جوهرة

عقل، ونفس، وأعضاء وأرواح.

تبين لنا أن الشاعر يتغزل بمحبوبه باستعمال الرموز، كما التزم الأمير عبد القادر بالحديث عن الحب الإلاهي وروح المحبوب ويلحق لذة النظر لأحبابه، كما عبر عن الأعياد والأفراح.

[1] الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص114.

ويقول أيضا:[1]

عجبي من عشق نفسي

ما أحبت غيري أملا

ليس تشبيبي وغزلي

وغرامي إلا إلا

أنا سعدى أنا سلمى

أنا هند أنا ليلى.

من المعروف أن المتصوفين يتخذون رمز المرأة رمز الجمال الإلهي، وحقيقة القدرة الإلهية في خلق الإنسان أحسن هيأة فالمرأة تدل على اجمل ما في الكون، ويتخذها الشاعر كوسيلة للتعبير عن حبهم لله وشوقهم له، ولأن المرأة رمز الأنثوي الأجمل في الكون كلّه، ولا يمكن التعبير عن العلاقة الإنسانية بالله تعالى سوى باتخاذهم للمرأة الجوهر الحقيقي في أشعارهم تعبيرا عن حيّهم لله، لأن الله خلق المرأة وجعل فيها كل معايير الجمال، لهذا نجد الكثير من الشعراء الصوفيين يتخذون من المرأة وأسماء النساء في أشعارهم كرمز، ولكن ليس خصصا للمرأة وإنما لله تعالى، وهذا ما يظهر في الأبيات التي أشرنا إليها سابق، فقد بين الأمير عبد القادر غرامه بنفسه وتعجبه من عدم حبّه لغير سوى نفسه والله تعالى.

كما نشير كذلك إلى الحقيقة المحمدية التي تجعل الرسول ﷺ مدار الكون، وبيان مكانة الرسول (ص)، يقول الأمير عبد القادر:[2]

[1] الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص130.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص103.

يا سيدي! يا رسول الله! يا سندي!

ويا رجائي! ويا حصني! ويا مددي!

ويا ذخيرة فقري! يا عباذي! يا

غوثي! ويا عدتي للخطب والنكد!

يا كهف ذلي! ويا حامي الذمار! ويا

شفيعنا في غد! أرجوك يا سندي

تحدث الأمير عبد القادر في الأبيات عن حقيقة العلاقة بينه وبين تأثره بالنبي محمد (ص) ولكونه مؤمن بالرسالة المحمدية وتشبّعه بالدين الإسلامي أشار في هذين البيتين عن اتخاذه لرسول (ص) سيد الأنبياء، وسيلة وسيطة بينه وبين الله تعالى بحيث يتوسّل بالرسول شفيع الأمة الإسلامية قصد الاستجابة من الله تعالى رب الكون وعالم الغيب والشهادة، فيظهر هذا الحب بين الأمير عبد القادر والرسول (ص) الذي هو سيّدنا وهو من يشفع للأمة الإسلامية يوم القيامة ويحمينا من هول مشاهدها المرعبة، وهنا يظهر مدى الحب وتعلّقه بالسيرة النبوية عند الأمير عبد القادر.

3-أهم المواضيع التي عالجها الأمير في الشعر:

لقد كان للأمير عبد القادر الجزائري اسهامات كبيرة في الشعر من خلال إبداعه ورقة إحساسه فكانت أشعاره عبارة عن حكم وعوائظ وفلسفة وكان له مواضيع متعددة في الشعر من بين أهمها:

3-1 التصوف:

لقد عرف الأمير عبد القادر بإيمانه وبحبه لله تعالى وبتربيته التمس والقلب منذ الصغر وكان كتابه "المواقف" مهدا لمحتوياته العقائدية والصوفية "كلّ ما تقوله الطائفة العلوية –رضي الله عنها-له دليل من الكتاب والسنة عرفه من عرفه وجهله من جهله لأن طريقتهم مؤسسة على الكتاب والسنة، فيرى أن من علومهم أمورا وجانبان لا يمكن أن يقام عليها دليل ولا تحد بحد."[1]

فالأمير عبد القادر بثقافي الطائفة العليا والتي هي الصوفية لأن أحكامها مأخوذة من كتاب الله تعالى ومن سنة النبي ﷺ.

كما أن الرؤية الفلسفية للوجود تتميز "في الخطاب الصوفي للأمير من خلال تصوّره للوجود والعدم، وهو تصور يختلف عن تصور المتكلّمين وتصور الفلاسفة، فهو يرى أن التمايز بين الحقيقة والمجاز تمايز صوري إلى درجة انعدام الغيرية تماما بالنسبة للذات الإنسانية كما هو موجود المحض."[2] فالغيرية توجد فقط لفظا ومجازا.

" إن التصوف في حياة الأمير عبد القادر سلوك متأصل في الأسرة الكبيرة التي تمتد بأصولها إلى نسبه، الشريف الموصول بالنبي محمد ﷺ."[3] يقول الأمير عبد القادر:[4]

أبونا يا رسول الله خير الورى طرا

[1] مرابط جواد، التصوف والأمير عبد القادر، دار اليقظة، دط، 1966، دمشق، ص:89.

[2] الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تح: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2004، ص118.

[3] مُحَمَّد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، 1964م، ص933.

[4] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيزي بن سعود، الباطين للإبداع الشعري، دط، أغسطس، 2000، ص330.

فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا

وحسبي بهذا الفخر من كل منصب

عن رتبة تسمو وبيضاء أو صفرا.

فيتفاخر الشاعر في هذه الأبيات بأنّ نسبه وجذوره من جذور أصيلة وشريفة، وأنها تمتد للنبي ﷺ وسيد الحسب.

كما أنّ مسألة التصوّف عند الأمير عبد القادر الجزائري "عقيدة متجذّرة في لا وعيه الديني والثقافي، فقد نشأ عبد القادر على التقوى والإيمان وحب المشايخ وطاعة للقوم والاقتداء بهم والذهاب مذهبهم، وما كتابه "المواقف" الذي ألفه في آخر حياته إلا ثمرة وخلاصة تجربته الصوفية من أجل مقاتلة الفرنسيين الغزاة جهادا، فإن مفهومه للتصوف هو الجهاد أيضا."[1] وهذا ما ورد في كتابه المواقف الذي هو موضوعه التصوف والفكرة الصوفية فجهاده لله تعالى هو المفهوم الحق للتصوف عند الشاعر الأمير عبد القادر.

لقد حج الأمير عبد القادر إلى بيت الله تعالى حيث خلى مع ذاته ومع الله تعالى في ذلك المكان المبارك ورتق بروح والنفس والجسد وقد أقبل على عبادة الله تعالى في المسجد الحرام وصولا إلى غار حراء ومن خلوته تلك كتب الأبيات يصف فيها بداية رحلته ونهايتها ويثني على الله تعالى بما أولاده على يده، بقوله:[2]

أمسعود! جاء السعد والخير واليسر ووولت جيوش النحس ليس لها ذكر.

[1] نور الدين صدار، البطولة الإنسان والتصوف تنوعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر، مقاربة بنيوية تكوينية، مجلة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 37، العدد2، 2010، ص379.

[2] مُحَمَّد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ص:694-695.

وقد حاول الباحث فؤاد صلاح السيد حصر حياة الأمير عبد القادر الصوفية في أربع مراحل:

المرحلة الأولى التي رافق فيها والده محي الدين لأداء فريضة الحج، تمكن من الاطلاع على الطرق الصوفية، ومنها الطريقة النقشبندية والطريقة القادرية، أما المرحلة الثانية فهي المرحلة التي يتمظهر فيها التصوف عند عبد القادر من خلال روح القدرة والمرابطة والجهاد، فحروب الأمير عبد القادر لم تكن حروب غدر، بل حروب ضد من حمل السلاح ضد الجزائريين، ومن هنا كان التصوف عند الأمير تصوف جهاد لا تصوف قعود وانزواء."[1] يقول الأمير عبد القادر:[2]

إلى من دعتني همة الشيخ من مدى

بعيد ألا فادن فعندل لك الذخر

أتاني مربي العارفين بنفسه

ولا عجب فالشأن أضحى له آمر

فقبلت من أقدامه وبساطه

وقال: لك البشرى بذا قضي الأمر

أما المرحلة الثالثة جاءت عقب أسره في السجن، "دخلت مرة خولة فعندما دخلتها انكسرت نفسي وضاقت على الأرجاء وفقدت قلبي، وإذا المعرفة فكرة والأنس وحشة

[1] فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، القوسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1982م، ص134.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص107.

والمطايبة مشاغبة، والمسامرة مناكرة، فكان نهاري ليلا، وليلي ويحا وويلا... وهي قربة أردتها أبعدت بها فلم يبقى فهي من أنواع الصلاة إلا الصلاة، فكان هذا ابتلاء."[1]

وتتمثل المرحلة الرابعة في حياة الأمير الصوفية "فهي المرحلة التي تلت خروجه من السجن وسفره إلى المشرف، والتي كرسها الجهاد النفس، والتعمق في علوم التصوف والتآليف فهي الخلوة الصوفية، وفيها شرب الطريقة الشاذلية، إلى أن ارتقى في معارج الأسرار الإلهية."[2]

من خلال هذه المراحل الأربعة التي تناولها "فؤاد صالح السيد" نجد أن الأمير عبد القادر عرف الدين وهو لا يزال صغير السن متصوف في الحياة وكانت أشعاره مليئة بالمواعظ والعبر.

2-3 الغزل:

ومن المواضيع المهمة أيضا في أشعار الأمير عبد القادر الغزل الذي حظي والآخر باهتمام الشاعر وراح يتغزل بأم البنون مثلما، كما أن الغزل عنده غزل صيّن وأخلاق فاضلة.

وإنّ غزل الأمير عبد القادر "من نوع الغزل الروحي يتحدث فيه صبابته إلى زوجته أم البنين، وتغزله بها صادقا جياشا بالعواطف النبيلة، فكان إذا غاب عنها شكل، وإذا ذكرها

[1] الأمير عبد القادر، المواقف في بعض إشارات القرآن الأسرار والمعرفة، تح: عبد الباقي مفتاح، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، 2005، ص211.

[2] فؤاد الصالح السيد، الأمير عبد القادر، متصوفا وشاعرا، ص134.

تحسر، والواضح أن الأمير عبد القادر من الشعراء الصوفيين الذين ارتسمت في شعرهم علائم المحبة وأحوالها من خلال أبيات متعددة عبر عما يسكنه من تلك المحبة."[1]

فهو غزل لزوجته إلى أحبها كثرا يحزن عند البعد عنها ويتحسر عند ذكرها. كما أن الأمير عبد القادر يتغزّل بالمرأة رفع شأنها و"إن موضوعية الغزل في شعر الأمير عبد القادر رفعت من شأن إنسانية المرأة التي نظر إليها نظرة إنسانية، فاتغزل بها تقدير لها ولحبها وجمالها، فلا تناقض بين سلوكه كأمير وبطل وبين (هشاشة) موقفه تجاه المرأة الإنسانية[2]، يقول الأمير عبد القادر:[3]

فما في الذل للمحبوب عار

سبيل الحبّ ذلّ للمراد

رضا المحبوب ليس له عديل

بغير الذّل ليس بمستفاد

ولا يوجد ذلّ في حب كما يقول الشاعر الأمير عبد القادر، فالغزل شعور صادق ورؤية إنسانية جميلة مستمدّة من التّصوف، ومن ثقافة الشاعر الإسلامية فهو: "يجمع بين الغريزة والتسامي، فلا هو راغب عن المرأة ولا هو ناظر إليها النظرة... المسفة بحق، ولا هو مفارق بين شعوره نحوها، وشعرها فيها."[4] لقد أعطي الأمير عبد القادر نظرته للمرأة

[1] عبد الوهاب بلفراس، الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر، نشر في الأنترنت 29 جويلية 2019، ص06.

[2] نور الدين صدار، البطولة، الإنسان، المتصوف، ص83.

[3] الأمير عبد القادر، الديوان، ص59.

[4] بويجرة محمّد بشير، الأمير عبد القادر الشعر العربي الحديث، منشورات دار الأدبي، دط، الجزائر، 2007، ص114.

دون خوف ولا قلق وذلك من خلال ذكر ما يتميّز بها المرأة من خصال جميلة وإضافة إلى مكانتها التي تتربع عليها في علاقتها برجل وكلّ هذا عبر عنها الأمير بكلّ روح إنسانية.

ويقول الأمير عبد القادر في قصيدته "مسلوب الرقاد":[1]

ألا قل للتمني سلبت فؤادي

وأبقتني أهيم بكل واد

تركه الحب ملتهبا حشاه

حليف شجى يجوب بكل ناد

ومالي في اللذائذ من نصيب

تودع منه مسلوب الرقاد

3-3 الوصف:

يعتبر الوصف كالشعر إذ يتخلل الوصف في الشعر، فالوصف يخبرنا عن لبّ الشيء على غرار الشعر الذي هو جوهر الشيء ويتجلى الوصف في دعامتين أساسيتين هنا:

أ- الوصف البدوي:

يعد الوصف البدوي الخطوة الأولى التي تميّز بها الأمير عبد القادر أثناء فترة تواجده في الجزائر "استهل عبد القادر رائيّته بتوجيهه لوم وعتاب رقيق لأولئك الذين ينتصرون لأهل الحضر ويقفون إلى جانيهم، ويلومون سكان البوادي لبساطة عيشهم ولا

[1] الأمير عبد القادر، ديوان الشاعر، ص57.

مناص أنّ هذا الحكم مردّه جهل بحياة البداوة وفضائلها، حقا إنّ الجهل في مثل هذا الأمر ضرر عظيم، ولكن عذر هؤلاء –دعاة المدينة-أنهم لا يعرفون ما في البادية من مزايا ومناقب، ويوم تتاح لهم فرصة العيش فيها، ويرون بأم أعينهم هذه الحياة الهانئة البسيطة."[1] من خلال هذه الفترة نجد الأمير عبد القادر، قد عاتب رجلا قال كلاما استهزأ فيه بالسكان البدو وكل ما فيها من خصال وآخذ بالدفاع عنهم وأشار إليهم بتجربة العيش فيها من أجل رؤية الوجه الحقيقي والجميل فيها للبداوة. يقول الأمير في قصيدته أماني البداوة عيب:[2]

لو كنت تعلم ما في البدو تعذرني

لكن جهلت، وكم في الجهل من ضرر

ما في البداوة من عيب تذم به

إلا المروءة والإحسان بالبدر

من خلال هذه الأبيات نجد الأمير عبد القادر يصف البدو ويظهر كل ما يجلي فيها من خصال جميلة من مميزات طبيعية وبساطة سكانها وتبيان لوحاتها الفنية التي تتميز بها البداوي في طريقة عيشهم من تواضع ونقاء روحهم.

ب- الوصف الحضري:

تميّز انتقال الأمير عبد القادر إلى العيش من البداوى إلى العيش في الحضاري على عدّة مميّزات نتج عنها الاستقرار فنجد فيها:

1- الوصف النسخي الحسي التقريري:

[1] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص112.

[2] الأمير عبد القادر الجزائري، الديوان، ص50-51.

"وللشاعر في هذا النوع بعض القصائد والمقطوعات التي يصف فيها المظاهر والأشياء العادية والحسّية فينقلها لك نقلا صادقا واقعيا، بل قل يصورها تصويرا فوتوغرافيا دون أن يضفي عليها من أحاسيسه ومشاعره، فهي تفتقر إلى ذلك الشعور المتدفّق بالحرارة التي نجدها في الوصف الوجداني التشخيصي."[1] وهنا نجد الأمير يصف الأشياء مبتعدا عن مشاعره وتجاربه في الحياة إذ أنّه يكتفي بشيء الملموس واقعيا دون تعدي ذلك.

2- الوصف التشخيصي الوجداني:

وفيه يبيّن الأمير عبد القادر المعيشة كما وجدت في روحه ونفسيّته أي في ذاته الشخصية، وقد عبر عنها بطريقته الخاصة ويظهر ذلك في الأبيات التالية للأمير عبد القادر في قصيدته "أعرني قلب":[2]

ألا إنّ قلبي يوم بنتم وسرتم

غدا حائما خلف الظغون يطير

يقاسي مرار العون عن ألم الجوى

فمالي إلا أنه وزفير

يظهر في ثنايا شعر الأمير عبد القادر مدى تأثّره وحزنه الشديد وحالته النفسية المتدهورة بعد ما أصابه الخذلان والخيانة من طرف أخوانه الذين يتركون وحيدا ولكن رغم كلّ هذا إلا أنّ الأمير عبد القادر قد تجاوز هذه المحنة بسبب صبره وكان مهيّئا نفسه وعلى

[1] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري، ص118.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص89.

دراية ما سوف يحدث فتجاوز كلّ تلك المحن والصعوبات بروحه الشجاعة متكلا على صبره.

4-3 المدح:

من المواضيع التي تخللت أشعار الأمير عبد القادر المدح حيث شعر في مدح سيّد الخلق سيّدنا محمد صلى الله عليه وسلّم.

"إنّ أول ما يتبادر في ذهن القارئ وهو يتبع فنّ المدح عند الأمير عبد القادر هو ابتعاده عن التزلف في عصره فإنّه يذهب فيه وجهة للنقد مختلفة فيرى ضرورة اعتماده على الصدق الفني، وفق مذهبه الأخلاقي ليس بالنسبة لقائل الشعر فحسب، وإنّما لابد من الصّدق بالنسبة لفاعل البر ومحسن المثوبة، وإذا جاء أحد يمزح فيجب أن لا يقول إلا حقا، فكيف إذا جاء يمدح، فعبد القادر إذن أحد المداحين القلائل في تاريخ الأدب العربي الذين لا يعرفون بالجهاد من باب معرفتهم بالمديح وقيامهم بهما معا حيث ارتبط نوع من المديح الكاذب بنوع من الهجاء الظالم في تاريخنا هذا."[1] فهنا إشارة أنّ الشاعر الأمير عبد القادر أنّه لا يعرف الهجاء ومديحه يمتاز بالصدق والرّصانة وهو أحد المداحين الذين يتفننون في المدائح وفي تاريخ الأدب، يقول الأمير عبد القادر مستحضر مثالية الرسول ﷺ:[2]

إنّي توسلت يا رب الأنام بهم

أرجوك فضلا وغفرانا وإحسانا

ثمّ الصلاة على المختار سيّدنا

[1] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص126.

[2] المرجع نفسه، ص145.

ما صارت الشبيب يوم الحرب شبانا

كما نلاحظ أنّ مدحه ينقسم إلى ثلاثة محاور، وهي:

أ- المدح الصوفي:

"يقصد بالتّصوف في الشعر الجزائري الحديث تلك القصائد التي اتجه فيها صحابها للحديث عن القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي بوجه عام، وفي الأدب والشعر بوجه خاص مثل الغزل الإلهي و"الحفرة الإلهية" و"وحدة الوجود" "والنور الرباني" وغيرها كثير. ويعدّ الأمير عبد القادر "أول شاعر جزائري حديث كتب في التصوف نثرا وشعرا وترك تراثا ضخما بالقياس إلى غيره من العلماء أو الشعراء في عصره."[1] وعليه يرجع بعض الدارسين أن الأمير عبد القادر كان أديبا أولا أما التصوف فكان آخر ما اتجه إليه.

ب- المدح السياسي:

"لم يأت المدح السياسي عند الأمير إلى جانب غيره عن الفنون الشعرية في القصيدة، وإنما للمدح السياسي قصائد مستقلة (قصيدتين ومقطوعتين)، فكان المدح عنده وحدة قائمة بذاتها، ولم ينظم الأمير هذه المدائح بغية التكسّب والتزلف والحظوة، وإنما نظمها في سبيل الشكر ورد المعروف والجميل كما أنه توجه بمدائحه هذه إلى شخص واحد هو السلطان عبد الحميد الأول دون غيره."[2]

[1] عبد الوهاب عبوسي، ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، ص457.

[2] عبد الرّزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص135.

المدح السياسي عند الأمير عبد القادر لم يوظّفه للتصنع والمبالغة في وصف سلاطين الخلافة بل للترويجج وإعادة الاعتبار لهم، ولهذا نجده قد خصّ مدائحه لشخص واحد هو السلطان عبد الحميد الأول.

يقول الأمير عبد القادر في قصيدته "آمن من حمامة مكة":[1]

لازال تخدمه نفسي وأمدحه

مستغرق الدهر أبكارا وآصالا

أهدي مديحي وحمدي ــما حييت-له

أفادي أنعما ــجلت-وإقبالا

جزاه عني إليه العرش أفضل ما

حزابه محسنا ــيوما-ومفضالا

ت- المدح الأدبي:

"وتعتبر قصائده هذه أقرب إلى المساجلات الأدبية فيها إلى فنّ المدح لأنّ الشاعر كان يتبادل هذه القصائد الشعرية مع ممدوحيه في المناسبات المختلفة على سبيل التهنئة والتكريم والاحترام بغية زيادة أواصر المحبة والأخوة وإدخال السرور على القلوب تركزت مناقب ممدوحي الشاعر على جملة من الفضائل الفطرية والمكتسبة كالنسب الشريف والعلم والشجاعة والأخلاق الحميدة والجمع بين السيف والقلم."[2]

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص91.

[2] عبد الرزاق بن سبع، الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، ص196.

نفهم من خلال هذه الفقرة أنه قد تلخصت قصائد الأمير عبد القادر على جملة من الخصال ومميزات فيها الالتزام والرّد على الشكر بشكر أجمل فيه وهذا يظهر لنا مدى ترابط الأخوة والمحبة واعتزازه بالنسب في قصائده.

يقول الأمير عبد القادر في قصيدته "أنا مخلص للود شاكر":[1]

أحلى المديح مديح خل فاخر

أقواله تنبي كدر باهر

عما أجن من الوداد جنانه

ألفاظه تترى كشهد قاطر

تكسو الملاحة والطلاوة وجهها

فالود من أرجائها كالعاطر

يا صاح! خاتمه الأفاضل كلهم

من كلّ شهم كاتب أو شاعرا

[1] الأمير عبد القادر، ص76.

الفصل الثالث

البعد الفلسفي في شعر الأمير عبد القادر

يعدّ شعر الأمير عبد القادر الجزائري الصوفي شعرا تقليديا لا يكاد يخرج عن المواضيع الصوفية، اتجه فيه إلى الحديث عن أبرز القضايا التي عرفت في الفكر الصوفي، "ولم يكن الأمير سبّاق إلى الغوص في مثل هذه الأحاديث، وإنّما سبقه لها العديد من الشعراء، لكن يعود له الفضل والسبق في أنّه أوّل شاعر جزائري حديث كتب في التصوف، وترك وراءه تراثا لا بأس به في التصوّف، ومنهج بلوغ المعرفة عند الأمير من خلال ال خطاب الشعري الصوفي لا يقوم على الممارسة الحسية والاستدلال العقلي، وإنّما ينهض على القل وأسراره، والذوق وإدراكه، فهو يأخذ بمنهج الذوق المدعم بالعقل، أي العقل بمفهومه الأفلاطوني، القائم على التصور العاطفي ، والرمز والإشارة في التعبير،"[1] أي أن الصوفي يدرس المسائل العقلية بعد أن يكشفها ذوقه، ومن بين والقضايا الصوفية والمصطلحات والأبعاد الفلسفية والصوفية التي تظهر في خطاباته نجد:

1- حقيقة الوجود:

إنّ حقيقة الوجود هي اعتراف الإنسان بأن الكون لم يضع نفسه، فإنّ هناك موجود قبل كلّ الموجود وهو الخالق "الله تعالى"، بقول الأمير عبد القادر عن الوجود: "لا وجود فلا الوجود الواحد الحق تعالى والمسمى عاليا ومخلوقات مظاهره، من أول مخلوق إلى آخر مخلوق، فحق بلا خلق لا يظهر، وخلق بلا حقّ.... لا يوصف بالوجود، والوجود الحق واحد لا يتجدد ولا يتغيّر ولا ينحصر ولا يحدّ، تقيّده الأكوان والمظاهر."[2]

هنا يثبت الأمير عبد القادر حقيقة الوجود، فهو يعطي دلائل أن الله موجود فهو يظهر الحق أينما وجد الظلم والباطل وأعطى الخلق الحق.

---

[1] سحواج امحمّد، المصطلح الصوفي العرفاني في شعر الأمير عبد القار، من الكشف إلى الحقيقة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد18، ص66.

[2] الأمير عبد القادر، المواقف، مطبعة الشباب، دط، القاهرة، مصر، دت، ص151.

وعن هذه الحقيقة الوجودية عبر الأمير، وبها تغنى في شعره عن حقيقة الوجود يقول الأمير عبد القادر في ديوانه في قصيده "عود وورود":[1]

أنا حق أنا خلق

أنا رب أنا عبد

أنا عرش أنا فرش

وجحيم أنا خلد

أنا ماء أنا نار

وعواء أنا صلد

أنا كم أنا كيف

أنا وجد أنا فقد

أنا ذات أنا وصف

أنا قرب أنا بعد

كل كون ذاك كون ذاك كوني

أنا وحدي أنا فرد

نلاحظ هذه القصيدة تثبت وجودها، وهو وجود الله تعالى، فقد وظف الأمير عبد القادر كلمات متضادة "رب" "عبد" "حق" "خلق" تأكيدا على فلسفة حقيقة الوجود، وهنا لا

[1] الأمير عبد القادر، ديوان، ص118.

ينفي الضد منطقيا، والحق هو الله تعالى والخلق هو الإنسان أي شيء مخلوق على وجه الأرض، فوجود الحق هو الله تعالى يستوجب معه وجود المخلوق الذي خلقه الحق، وبهذه الكلمات البسيطة التي وظفها الأمير عبد القادر أثبت بها فلسفة وجودية منطقية في قالب شعر إبداعي جميل.

ويقول الأمير عبد القادر في قصيدته "من أكون" التي أثبت فيه حقيقة الوجود فلا طالما كانت أشعاره مليئة بهذه الحقائق الوجودية والفلسفية، يقول:[1]

أيا أنا من أكون إن لم أكن أنت

ويا أنت من تكون إن لم تكن أنا

ما بلكم قلتم غله واعبد

فكثرتم لذاك طاشت عقولنا

إذا رفعت من بيننا العين والألف

فقد رفع الستر المغرق بيننا

وذلك حين لا أنا لك عابد

ولا أنت معبود فزال حجابنا

في هذه الأبيات الشعرية ينبت الأمير عبد القادر الوجود الإلاهي وهنا مفارقة وجودية، فإذا لم يكن الله يمثل كل شيء فمن يمثل، وأن بين العابد والمعبود علاقة وأساسا عنده العلاقة العبادة فإن زالت وال معه الحجب والسطر.

---

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص130.

ويقول الله تعالى في محكم تنزيله " اَللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَالاَرْضِ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَاة فِيهَا مِصْبَاحٌ اِلْمِصْبَاحُ فِے زُجَاجَةٍ اِلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَب دُرِّيّ يُوقَدُ مِن شَجَرَة مُّبَٰرَكَة زَيْتُونَة لَّا شَرْقِيَّة وَلَا غَرْبِيَّة يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِےءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَار نُّورٌ عَلَيٰ نُور يَهْدِے اِللَّهُ لِنُورِهِۦ مَنْ يَّشَاءُ وَيَضْرِبُ اُللَّهُ اُلَامْثَٰلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شيءٍ عَلِيم"[سورة نور الآية 35] فالله تعالى يمثل نور السماوات والأرض وهو نور على نور استنار كل الوجود بنوره ويهدي الله بنوره من يشاء ويضل من يشاء. يقول الأمير عبد القادر في إثباته لهذا الكلام في قصيدة "غاية الذي يبغي".[1]

فيا نورا بلا شمس

ويا شمسا بلا نور

.....

ويا سترا بلا كشف

ويا كاشفا بلا ستر

ويا فجرا بلا ليل

ويا ليلا بلا فجر

يا حيرتي يا دهشتي

يا حرف ما له مقر

لقد حيرتني حتى

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص123.

في حيرتي وفي أمري

هذه الأبيات تتمثل حيرة وشكّ الشاعر في سبيل معرفة الحقيقة الوجودية من خلال التّذوق والتّأمل في خلق الله وهذه الحيرة تدبُّ في عقل الشاعر حتى يؤديه اليقين ويعرف شعور معرفة الله من خلال التأمل والشكّ، يقول الفيلسوف ديكارت: "أنا أشكّ إذن أفكر إذن أنا موجود" فالشكّ يولد لنا التفكير ويقودنا إلى معرفة الحقيقة وبالتالي معرفة الوجود.

إنّ مصطلح الظاهر والباطن مصطلحين يبيّنان حقيقة الوجود يقول محي الدين ابن العربي: "إنّ الله تعالى لا يعرف إلا بجمعه بين الأضداد في الحكم عليه لما فهو الأول والآخر والظاهر والباطن، فهو عين ظهر وهو عين ما بطن في حالة ظهور."[1] فالله تعالى هو ظاهر الأشياء وباطنها يعرف ما خفي فهو خالقها، يقول الله تعالى: "هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكلّ شيء عليم."[سورة الحديد الآية 03]

يقول الأمير عبد القادر في قصيدته "هو الظاهر هو الباطن":[2]

عجبت له كيف اختفى بظهوره

فعيني حجابه الظهور ولا منفرا

ألا فأعجبوا من ظاهر في بطونه

ومن باطن لا زال باد وظاهرا

---

[1] محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، موقع للنشر، دط، الجزائر، 2007، ص4140.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان ص118.

تكمن حقيقة الوجود في قول الأمير عبد القادر، ومن باطن لا زال باد وظاهرا والباطن هو مقابل الظاهر، فالوجود هو الظاهر والباطن وهذه حقيقة فلسفية وجودية أثبتها الأمير عبد القادر من خلال الأبيات السابقة الذكر.

إنّ الحقيقة الوجودية عند الفلاسفة المتصوّفة واحدة غير متغيّرة هذا ما نجده عند الأمير عبد القادر حيث تحدث عن حقيقة الوجود وعن الكون هذا البعد الفلسفي في قصائد عدّة منها قصيدة "حقق الأمر" يقول الأمير عبد القادر:[1]

أنا كون ذاك كوني أنا وحدي أنا فرد

لا شكّ أني مجبور وجابرني مجبور

بالعلم منه قيده لا تبديل لا تغيير

والعلم أيضا تابع لمتبوع ومقصور.

تكمن الحقيقة الوجودية في هذا البيت في قول الشاعر "أنا كون ذاك كوني، أنا وحدي أنا فرد" فالله تعالى هو الكون كلّه وحده الذي يقتل الوجود من خلال هذه الكلمات الرمزية التي توصل إلى حقيقة معرفة الله يقول الله تعالى "قل هو الله أحد الله الصمد" [سورة الإخلاص الآية 21] فهذه الأبيات دلالة واضحة على توحيد فالله وحده لا شريك له.

إنّ الوجود المنسوب إلى الله تعالى هو وجوده، ومن بين الأشعار التي تتحدث عن حقيقة الوجود في ديوان الأمير عبد القادر نجد " أنا الحبّ والمحبوب والحب جملة":[2]

أنا الحب والمحبوب والجب جملة

---

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص124.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص117.

أنا العاشق المعشوق سرا وإعلانا

يثبت الأمير عبد القادر في هذه الأبيات الوجود الواحد وهو الله تعالى الذي يتمثل في الحب، والذي يغرس هذا الحب في محبوبه، والله تعالى هو الحب كلّه والعاشق سرا دون جمر وخفاء دون إعلان.

2- الشك (الحيرة الصوفية):

الشكّ أو الحيرة الصوفية من منظور الأمير عبد القادر لا يؤدي للإلحاد وإنّما هو مسلك يهدف من ورائه للوصول إلى حقيقة الإيمان أو الحقيقة الإلهية،[1] فالشكّ عند الأمير عبد القادر هو الطريق إلى الله وحده وحيرة تؤدي به إلى اليقين المطلق بالإيمان وذلك بتحقيق الطمأنينة والسلام الدّاخلي، وقد تأثّر في تفكيره الصوفي بمعلّمه ابن العربي الذي يرى أنّ "المتصوّف شاعرا أو مفكّرا يبدأ من نقطة الشكّ لأنّه الطريق إلى المعرفة."[2]

ومن هذه الفكرة نرى نقطة التقاء بين المتصوّف والفيلسوف لكن جوهر الاختلاف من بينهما ما يمكن في الوسائل والسّبل، فبينما يعتمد الفيلسوف يعتمد على العقل والمنطق للبرهنة، أمّا المتصوّف يكشف المحبة والصّدق والعشق في محبوبه دون الاهتمام بالماديات ليصل إلى المعرفة.

والباعث على الشّك والحيرة لدى المتصوّفة هو عقله لأنّه سبب التردد ذلك أنّ طريق العقل في المسائل الإيمانية طريق قاصر قد يدفع المرء إلى متاهات تخرجه عن الصواب

---

[1] عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981، ص248.

[2] المرجع نفسه، ص247.

فالعقل طريق لا يوصل إلى الإيمان الذي محلّه القلب،[1] وذلك ما يظهر في قصيدة "يا من غدا عابدا لفكره" التي يقول فيها:[2]

يا من غدا عابدا لفكره فقد فأنت يا غافلا على شفا حرف

جعلت عقلك هاديا ونوري هدى أضلك العقل، أيقن أنت في تلف

حكمت عقلك في الرّب العظيم فما تنفك تحكم في حكم ذي سرف

تقول ليس كذا وليس هو كذا الحق من طرف وأنت من طرف

عليك بالشرع فالزم طريقته فحيثما سار سر، وإن يقف فقف

فالعقل في رأي الأمير عبد القادر يضلل الإنسان ويوهمه بخرافات وتراهات تؤدي به إلى الغلط والوهم فاتباع الشرع والذي محوره الأساسي كتاب الله العزيز والحديث النّبوي الشريف هو العماد والطريق السليم إلى أعلى درجات الإيمان التي هي اليقين بوجود الله وهذا ما يدلّ على أنّ الشاعر صوفي سُنّي داع إلى اتباع الشريعة الإسلامية.

كما نجد الأمير عبد القادر يرى أنّ المعرفة تكون بالقلب وعن طريق الحب، يقول في موضع آخر:[3]

تجلى له المحبوب من حيث لا يرى فأعجب به أراه من حيث لا يرى

وغـــــيبني بـــــه فغـــــــــاب رقيــبنا وزال حجـــــــاب البين والحسم المرا

---

[1] ينظر: عبوسي عبد الوهاب، ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، ص 458.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص181-182.

[3] الأمير عبد القادر، الديوان، ص169.

والمعرفة التي يشير إليها الأمير هنا لا يمكن أن تدرك فهو عاجز عن إدراكها أو تصوّرها. وعليه، فهذه تدلّ على حيرة نابعة من تجليات صوفية حاصلة للشاعر الأمير، وهي موازنة تتولى بين اليأس والطمع في الوصول إلى مطلوبه ومقصوده، لا تطمعهم في الوصول فيرتجوا ولا تؤسسهم عن الطلب فيستريحوا فعند ذلك يتحيرون.[1]

وتزداد تساؤلات الأمير وحيرته إذ يقول:[2]

يا حيرتي يا دهشتي يا حرف ما له مقرّ

لقد حيرتني حتى في حيرتي وفي أمري

وحار كّل ذي كشف وذي عقل وذي فكر

يا حيرة العقل ويا ظلمة ما لها نور

والجبر لا عذر له لجاهل يا مغرور

الدافع هنا في شعر الأمير في حيرته ودهشته المعرفة الإلهية، حيث كانت هذه الحيرة والدهشة منهجا يتحقق من خلاله البهرنة والتجربة الموجودة في الصوفية، ليعرّفها عبد المنعم الحفني في كتابه المعجم الصوفي بأنّها" بديهة ترد على قلوب العارفين عند تأملهم بحضورهم وتفكيرهم، تحجبهم عن التأمّل والفكر."[3] فهذه الحقيقة التي يبحث عنها

---

[1] ينظر: مُحَمَّد بن عبد الكريم الكسنزان الحسيني، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار المحبة، دمشق-سوريا، 2005، ج6، ص167.

[2] الأمير عبد القادر، الديوان، ص123-124.

[3] عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي، الكتاب الشامي للألفاظ الصوفية ولغتهم الاصطلاحية ومفاهيم ومعاني ذلك ودلالته، القاهرة، ط1، 1997م، ص84.

هؤلاء المتصوفة شبيهة بالحقيقة التي يراها الأمير، ويريد الوصول إليها في وجود هذه الذات الإلهية.

وتبدو حيرة الأمير وتساؤلاته مأخوذة من تأثر بمعلّمه ابن العربي، حيث يقول: "يهتدي الإنسان إلى حيرة قلق وحركة، والحركة فلا سكون فلا موت..."[1]

إنّ هذا الغموض والحيرة والشكّ لمعرفة الحقيقة الإلهية أو ما يطلق عليها الذات الإلهية دليل يوحي بأنّ الصوفية في ذاتها من معارف متغيّرة وسائرة للكشف عن اليقين الصوفي.

وفيها يرى الأمير عبد القادر الطريق الأمثل لمعرفة الحقائق وظهورها والكشف عن كلّ التطورات هذه الحقيقة ومعايشتها في نفس الوقت.

قد صوّر الأمير مقامات أدبية صوفية أوردها في مؤلّفاته موضوع المعشوق الأزلي، الموضوع الذي أرقّ المتصوّفة طويلا وهو موضوع الحقيقة الإلهية، وكيف أنها تدرك بذوق لا بالعقل، وكيف أنّ طالبها يطير إليها بإصرار مستعذبا الموت وراكبا المخاطر، وحين يبلغها يدرك أنّ رحلته الصوفية مختلفة عن باقي الرحلات فهي أشبه بالرحلة الدائرية من الأرض إلى السماء.[2]

3- فكرة الموت:

---

[1] محي الدين بن العربي، فصوص الحكم، شرح: الشي عبد الرزاق القاشاني، ط1، القاهرة، دار الآفاق للنشر والتوزيع، 2016، ص176.

[2] عبد القادر الجزائري: الواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تقديم عاصم إبراهيم الكيالي، منشورات محمّد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، 2004، ص9-18.

تجلّت هذه الفكرة عند المتصوّفة عبر أزمنتهم التاريخية، وهي مرحلة من المراحل التي تساءل فيها الأمير في حيرة واندفاع وتأثر في شعره وقضاياه الصوفية، باعتبار أنّ الموت فكرة غيبية تساءل عليها العديد من الشعراء والأدباء، وفي تعبير له عن هذه الفكرة يقول الأمير:[1]

ففارق وجود النّفس تظفر بالمنى وزايل ظلال العقل إذ أنّه الحبس

وما هو إلا أن تصير إلى الفنا وتصعق ليس ثمّ روح ولا حسّ

تشاهد أحوال القيامة جهرة تهيأ لك الأكفان والغسل والرمس

حيث نجد الأمير هنا يكشف عن تجربة فريدة، وهناك إشارة وتلميح إلى مفارقة النّفس وزوالها ويشير الأمير أيضا إلى أنّ العقل الذي يعتبره الصوفيون يتعارض مع الدين أنّه سبب في الظلال والضياع وبأنّه سوف يزول وأنّ كلّ نفس مسارها إلى الفناء. وفي هذا الموت لا روح ولا حسّ فيرى الإنسان في هذه المرحلة أهوال يوم القيامة، فيهيأ للميت الكفن، ونجد ومضات هذا التفكير في كتاب الله عزّ وجلّ في قوله تعالى: " كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِۖ(185) [آل عمران-185].

وهذه الدلالات كلّها نجدها في الآية الموجود بين أيدينا والتي عبّر عنها الأمير عبد القادر في شعره، والتي تعدّ كدليل قاطع على صوفية الأمير عبد القادر.

وفي محور آخر له يرينا دليلا آخر عن الفناء، وأيضا يظهر هذا الفناء ويبيّن أن البقاء لله سبحانه وتعالى وكلّ شيء ذاهب وفانٍ إلاّ وجهه سبحانه وتعالى.

---

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص125.

وآل هذا المعنى في معاني ومقاصد من قصيدة الأمير "الذي أفناني" الذي يقول فيها:[1]

أرى الذي أفناني سيخلفي بعد يقوم برسمنا فيشمله الحدّ

لذلك أرى اسمه يعين رسمنا يجيب إذا دعى لا ردّ ولا جحد

فما بالهم يدعونه عبد قادر ولم يبق إلا قادر ما له عبد

لقد باد من كان من قبل بائذا وزال خيال الظل وارتفع السّد

يرى الأمير عبد القادر أن الفناء ألا وهو الموت أنّه سيبعث بعده للحساب، لذلك فالأمير على يقين أنّ لا ربّ سوى الله وحده والدعاء لله فقط هو المجيب والقادر على تلبية حاجة عبده، كما أنّ الله هو القادر المقتدر المسيّر لشؤون عباده، ومصير الطغاة الذين يدّعون الربوبية الفناء والزوال فلا يدوم أحد من الخلق إلاّ وجهه ذي الجلال والإكرام، وتتضح هذه المعاني في قوله تعالى: " كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَان (24) وَيَبْقىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَالِاكْرَامِ (25) [الرحمان 24-25]

ويظهر أنّ الأمير عبد القادر دائم التأثّر بان العربي في فلسفته، إذ نجد ابن العربي يقول: "فالخلق في مذهبه ليس إيجادا من عدم، بل هو ظهور وتجلي إلاهي قيّما لا تجلي إلاهي فيما لا يحصى عدده من الصور الموجودات، فالحق الخلق المخلوقات بلغة ابن العربي تتجلى في صورتها."[2] في قول الأمير عبد القادر:

وفي الحال حال السكر والمحو والفنا وصلت إلى لا أين حق ولا ورا

---

[1] الأمير عبد القادر، الديوان، ص121.

[2] سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ط1، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م، ص889.

أنا الموسوي ألأحمدي وراثة صقت ودك طورنا جرى ما جرى

يتحدّث الأمير عن سكرات الموت حيث يصل فيها الإنسان إلى أين لا يكون له حقّ ولا مهرب، وفي البيت الثاني يدرك الأمير بل هو على يقين أنه ملازم للدّين وتعاليم الرّسل والأنبياء، ولا خوف ولا مهرب من كلّ تعاليم الدين الإسلامي الذي هو دين الحق، ونجد هذه الأفكار مستنبطة من قوله تعالى: " وَلَمَّا جَآءَ مُوسِىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِىۖ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ (143) [الأعراف 143].

إنّ الأمير عبد القادر استطاع توظيف الكثير من المعاني والعبارات من شأنها التعبير عن الحقيقة الإليهة وكشف حقائقها ومنها تعبير عن الرّسل فاستعمل أماكن وأشخاص ليعبر به عن أماكن وأشخاص ليعبر بها عن الحقيقة المحمدية المشهودة لأهل الحقائق والتمكين.

وختام الكلام فإنّ الفناء عند الأمير عبد القادر هو تطهير وتنزيه النّفس من كلّ الذنوب والمعاصي الموجودة في الدنيا وإيراد الوصول والسمو لدرجة النقاء والتنزيه عن المنكرات.

خاتمة

خاتمة:

بعد أن أتممنا بحثنا رأينا كيف وضع البعد الصوفي بصماته في تفاصيل قصائد الأمير عبد القادر، وكيف ارتسمت معالم التّصوف من بدايتها وصولا للعصر الحديث والمعاصر، ومن خلال هذا البحث نجد معالم ترسم شعر الأمير حيث ذان نموذجا للرجل المتصوّف الصادق الشهم. ومنه توصّلنا إلى مجموعة من النتائج ألا وهي:

- اللغة الصوفية تتقاطع مع الشعر باعتباره تجربة روحية يحاول فيه الكشف عن المطلق، من خلال ملامح ورموز عدّة كالشكّ من أجل الوصول إلى الحقيقة والمرأة والخمرة والحقيقة المحمدية، باعتبار هذه الرموز تؤدي إلى الإيمان والمحبّة والمعرفة والتوحيد والرضاء بالقضاء والقدر خيره وشره.
- يحتلّ الرمز الصوفي مكانة هامة في كتابات الأمير عبد القادر، إذ يعتبر ظاهرة مهمة من الظواهر الفنية التي استخدمها الأمير، ولجأ إليها بغية طرح أفكار وعواطف وترجمتها إلى أشعار صوفية، وهي في مجملها تعبير عن ما يشعر به بطريقة غير مباشرة لزيادة الغموض والإيحاء.
- يعتبر الأمير عبد القادر نموذجا راقيا للرّجل المتصوّف حيث أوجد معجما صوفيا خاصا به، فوظّف في أشعاره مصطلحات صوفية خاصة، تقوم على الرمزية والإيحاء، وتهدف للوصول إلى أسمى درجات الذوبان الروحي، حيث يوظف جزء من شعره في خدمة قضايا الفكر الصوفي، وأيضا بيان تأثره شعر القوم والغزل والجهاد ومواضيع أخرى عديدة.
- إنّ التفكير الصوفي الفلسفي عند الأمير عبد القادر وسيلة تعبير لنقل مشاعره وذوقه، وأحواله العرفانية، ومجاهدة النفس في العبادة والدين، لذا نجد كتاباته محمّلة بنفحات

صوفية ونظرات فلسفية، متأججة بروح صوفي، وصدق في العاطفة، وغزارة وعذوبة الشعر الذي يتبين من خلال قصائده.

- التّصوف عند الأمير هو علم وعمل وليس مجرّد ممارسات أو طقوس، وقد كانت كتاباته دليلا قاطعا على جهاده لنفسه وأعدائه، وعلى إيمانه متّبعا بذلك معلّمه ابن العربي وكبار الشعراء أمثال ابن الفارض حيث ترسّمت معالمه في تفاصيل قصائد الأمير، حيث استعان بهم وتتبع خطاهم سواء من حيث المعنى أو حتى الصياغة.
- وصف الأمير عبد القادر في شعره اللحظات الصوفية التي توصّل إليها من نشأته في كنف المدارس والزوايا الدينية، حيث عالج من خلالها قضايا متعددة مثل: وحدة الوجود، الذات الإلاهية، الموت والفناء، ويظهر لنا موقفه من الدنيا والآخرة ومن وجود الله والغيب..إلخ.

كان الأمير عبد القادر ذو شخصية عظيمة، اعترف بها التاريخ أنّه امتاز وصفات متعددة وجوانب مختلفة لفتت له الأنظار وشغلت عنه الأفكار.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

المصادر:

1. الأمير عبد القادر، المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تح: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 2004.
2. الأمير عبد القادر، المواقف في بعض إشارات القرآن الأسرار والمعرفة، تح: عبد الباقي مفتاح، ج1، دار الهدى للطباعة والنشر، ط1، 2005م.
3. الأمير عبد القادر، ديوان الشاعر، جمع تحقيق، شرح وتقديم: د. العربي دحو، سالة، طبعة ثالثة، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م.
4. الحلاج (الحسين بن منصور): ديوان الحلاج صنعه وأصلحه كامل مصطفى السيبي، بغداد، ط1، 1947م، نقلا عن: إبراهيم محمود منصور، الشعر والتصوف، الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دط، (1945م/1990مم)، كلية الأدب، جامعة طنطاء.
5. سعاد الحكيم: المعجم الصوفي، الحكمة في حدود الكلمة، ط1، بيروت-لبنان، 1401هـ/1981م.
6. عبد القادر الجزائري: المواقف الروحية والفيوضات السبوحية، تقديم عاصم إبراهيم الكيالي، منشورات محمد علي بيضون، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان-بيروت، 2004م.
7. محي الدين بن العربي، فصوص الحكم، شرح: الشي عبد الرزاق القاشانى، ط1، القاهرة، دار الآفاق للنشر والتوزيع، 2016م.
8. محي الدين بن عربي، فصوص الحكم، موقع للنشر، دط، الجزائر، 2007م.

المراجع:

1. أدونيس، تحولات العاشق.
2. أرسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة ، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت.
3. الأمير عبد القادر، الديوان، شرح وتحقيق: د. ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر.
4. الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات وفرض الصلوات، شرح الإمام النووي، ج1، بيروت-لبنان.
5. بركات محمد مراد: الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، جامعة عين الشمس، كلية التربية،(دط)، (دت).
6. بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري المجاهد الصوفي، دار النشر الالكتروني، (دط)، (دت)، كلية التربية، جامعة عين شمس.
7. بركات محمد مراد، الأمير عبد القادر الجزائري، المجاهد الصوفي، كلية تربية جامعة عين الشمس، دار النشر الالكتروني، دط، دس.
8. بشير بوحيرة محمد: الأمير عبد القادر رائد الشعر الحديث، منشورات دار القدس العربي، ط1، وهران الجزائر.
9. جبور عبد النور: نظرات في فلسفة العرب، ط1، بيروت،1945م.
10. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الأول، دار المعارف، ط8، القاهرة، 1966م.
11. شوقي طيف، في الشعر ونقده، دار المعارف، مصر، 1971م.
12. صلاح عبد الصبور، حياتي في الشعر، مج4، دار العودة، بيروت-لبنان، دط، 1977م.

13. عبد الحكيم حسان: التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوّره حتى آخر القرن الثالث الهجري، مطبعة الرسالة، شارع حمودة المفادل 3عبابري، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1954م.

14. عبد الحكيم عبد الحق سيف الدين، العلماء والسلطة دراسة عن دور العلماء في الحياة السياسية والاقتصادية في العصر العباسي الأول، المكتب الجامعي الحديث، دط، 2009م.

15. عبد الرزاق السبع: الأمير عبد القادر الجزائري وأدبه، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبلاغ الشعري، (دط)، باتنة 10 مايو، 2000م.

16. عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وأدبه، مؤسسة جائزة عبد العزيزي بن سعود، الباطين للإبداع الشعري، دط، أغسطس، 2000م.

17. عبد الله الركيبي، الشعر الديني الجزائري الحديث، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 1981م.

18. عبد المنعم الحفني: المعجم الصوفي، الكتاب الشامي للألفاظ الصوفية ولغتهم الاصطلاحية ومفاهيم ومعاني ذلك ودلالته، القاهرة، ط1، 1997م.

19. عبد الوهاب بلفراس، الأمير عبد القادر محطات متميزة في رؤية الآخر، مقال نشر في الأنترنت 29 جويلية 2019م.

20. عدنان حسين العوادي: الشعر الصوفي حتى أقوال مدرسة بغداد وظهور الغزالي، دط، دت، دار الحرية للطباعة، بغداد.

21. عدنان حسين قاسم، الإبداع ومصادره الثقافية والفنية عند أدونيس، الدار العالمية، القاهرة-مصر، دط.

22. فؤاد صالح السيد، الأمير عبد القادر متصوفا وشاعرا، القوسسة الوطنية للكتاب، دط، الجزائر، 1982م.

23. كارلونا للينو: تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بن أمية، دار المعارف بالقاهرة، ط2، سنة 1970.

24. محفوظ قداش: الأمير ضحية الكلمة التي أعطيت له، الأمير عبد القادر سلسلة الفن والثقافة، وزارة الإعلام والثقافة نقلا عن كتاب المواقف للأمير عبد القادر.

25. محمد بشير بويجرة: الأمير عبد القادر رائد الشعر العربي الحديث، ط1، دار المشرق، بيروت، 2000.

26. محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، تح: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، 1964م.

27. محمد بن عبد الكريم الكسنزان الحسيني، موسوعة الكسنزان فيما اصطلح عليه أهل التصوف والعرفان، دار المحبة، دمشق-سوريا، ج6، 2005م.

28. محمد عبد المنعم خفاجي: الأدب في التراث الصوفي، دط، دت، دار غريب لطباعة، القاهرة.

29. محمد مرتاض، التجربة الصوفية عند شعراء المغرب العربي في الخمسينية المهجرية الثانية، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية، دط، 2009م.

30. محمود عزب: الحب والخمرة في الشعر الدنيوي إلى الشعر الصوفي، دراسة نقدية تحليلية، ط1، 2005م، هلا للنشر والتوزيع، 2005م.

31. مرابط جواد، التصوف والأمير عبد القادر، دار اليقظة، دط، دمشق، 1966م.

32. نزار أباظة: الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر، دمشق، ط1، سوريا، دمشق،1994م.

33. يحيى بوعازيز: الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري، (دط)، 1983م، تونس.

34. يوسف زيدان: شعراء الصوفيون المجهولون، ط2، بيروت، 1996م.

الكتب المترجمة:

1. ألكسندر بوشكين: القصائد الشرقية، تر: طارق مردود، ط1، دمشق، 1999م.
2. ت س.إليوت: شاعرا وناقدا وكاتبا مسرحيا، تر: ماهر شفيق فريد، طبع بالهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، دط، 2001م.
3. ت.س.إليوت: في الشعر والشعراء، تر: محمد جديد، دمشق، دار كنعان، ط1، 1991م.
4. شارل هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، (دط)، (دت)، شارع الحرية تونس.

مذكرات:

1. معتوق جمال فرحات فتيحة، بحوث في التغيير الاجتماعي، ظاهرة التصوف الإسلامي "فهم التجربة الصوفية الإسلامية"، دار الكتاب الحديث، 2013م، القاهرة.

المجلات والمقالات:

1. بن طرات جلول، اللغة الصوفية وتجلياتها في فكر المقاومة عد الأمير عبد القادر، مجلة آفاق الفكرية، العدد الرابع، شتاء 2016م.
2. سحواج امحمد، المصطلح الصوفي العرفاني في شعر الأمير عبد القار، من الكشف إلى الحقيقة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم الآداب والفلسفة، العدد18.
3. عبد الوهاب عبوسي، ملامح الخطاب الصوفي في شعر الأمير عبد القادر، مجلة إشكالات في اللغة العربية والأدب، جامعة الجزائر2، أبو القاسم يعود الله، الجزائر، مجلد:9، عدد:05، المركز الجامعي لتامنفست، الجزائر، السنة 2019.

4. نصر محمد الحسين التيسي: تيمات الشعرية عند مدرسة البعث والإحياء محمود سامي البارودي وأحمد شوقي نموذجا، مجلة العهدة في اللسانيات وتحليلي الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، مجلد6، عدد1، 2021م.
5. نور الدين صدار، البطولة الإنسان والتصوف تنوعات الرؤية والتشكيل في شعر الأمير عبد القادر، مقاربة بنيوية تكوينية، مجلة، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 37، العدد2، 2010م.

فهرس

فهرس الموضوعات

إهداء

شكر وتقدير

مقدمة.....أ-ج

مدخل: نشأة الأمير عبد القادر.....**4-12**

الفصل الأول: التصوّف والشعر.....**13-33**

1- التصوّف في الأدب الغربي.....14-20

2- التصوف في الأدب العربي القديم.....20-28

3- التصوف في الأدب العربي الحديث والمعاصر.....28-33

الفصل الثاني: البعد الصوفي في شعر الأمير عبد القادر.....**34-55**

1- اللّغة الصوفية في شعر الأمير عبد القادر.....35-36

2- توظيف الرمز الصوفي.....37-43

3- أهم المواضيع التي عالجها الأمير في شعره.....44-55

الفصل الثالث: البعد الفلسفي في شعر الأمير عبد القادر.....**58-70**

1- حقيقة الوجود.....58-64

2- الشّك (الذات الإلهية).....64-67

3- فكرة الموت.....70-67

الخاتمة.....75

قائمة المصادر والمراجع.....80-75

فهرس الموضوعات.....83-82

الملخص

الملخص:

لم يكن الأمير عبد القادر رجل جهاد فحسب، بل كان رجل فكر وأدب وتصوّف، إذ عرف بأنّه دائم البحث عن اليقين الذي يقرّبه من أهل العرفان، وهذا لتشبّعه بالثقافة الصوفية، وارثا إياها من بيئته، وقد وظف المعارف الكثيفة الصوفية والفلسفية والإشارات العرفانية التي ورثها من آثاره كما أنّه وجد الشعر أداة صادقة للتعبير تعينه على تصوير الحقائق الصوفية الفلسفية التي تدركها قلوب الأنقياء حين تبحر في منابع فيض النور الإلهي. والتفكير الصوفي الفلسفي وسيلة يعبّر بها عن مكنوناته من أجل تحقيق المبتغى وهو التقرّب من الله، وقد ظهرت إشراقات هذه النزعة جليّة في شعره من خلال توظيفه للمصطلحات والرموز الصوفية.

الكلمات المفتاحية: الشعر، التصوف، التفكير الصوفي، التفكير الفلسفي، وحدة الوجود، الإله، الموت.

Summary :

Prince Abdul Qadir was not only a man of Jihad, but a man of thought, literature and mysticism. He was known to always search for certainty that would bring him closer to the people of mysticism. He also found poetry us and honest expression tool that helps him to portray the mystical truths that the hearts of the pious comprehend when hearts sail in the sources of divine light. The radiance of the tendency was evident in his poetry through his use of mystical terms and symbols.

Key words: poetry, mysticism, mystical thought, philosophical thought, pantheism, God, death.